كتاب
البلاد المقدسة

ومهابط الوحي والديانات السماوية

لجامعه الحافظ المحدث
الشيخ **عبد الله التليدي**

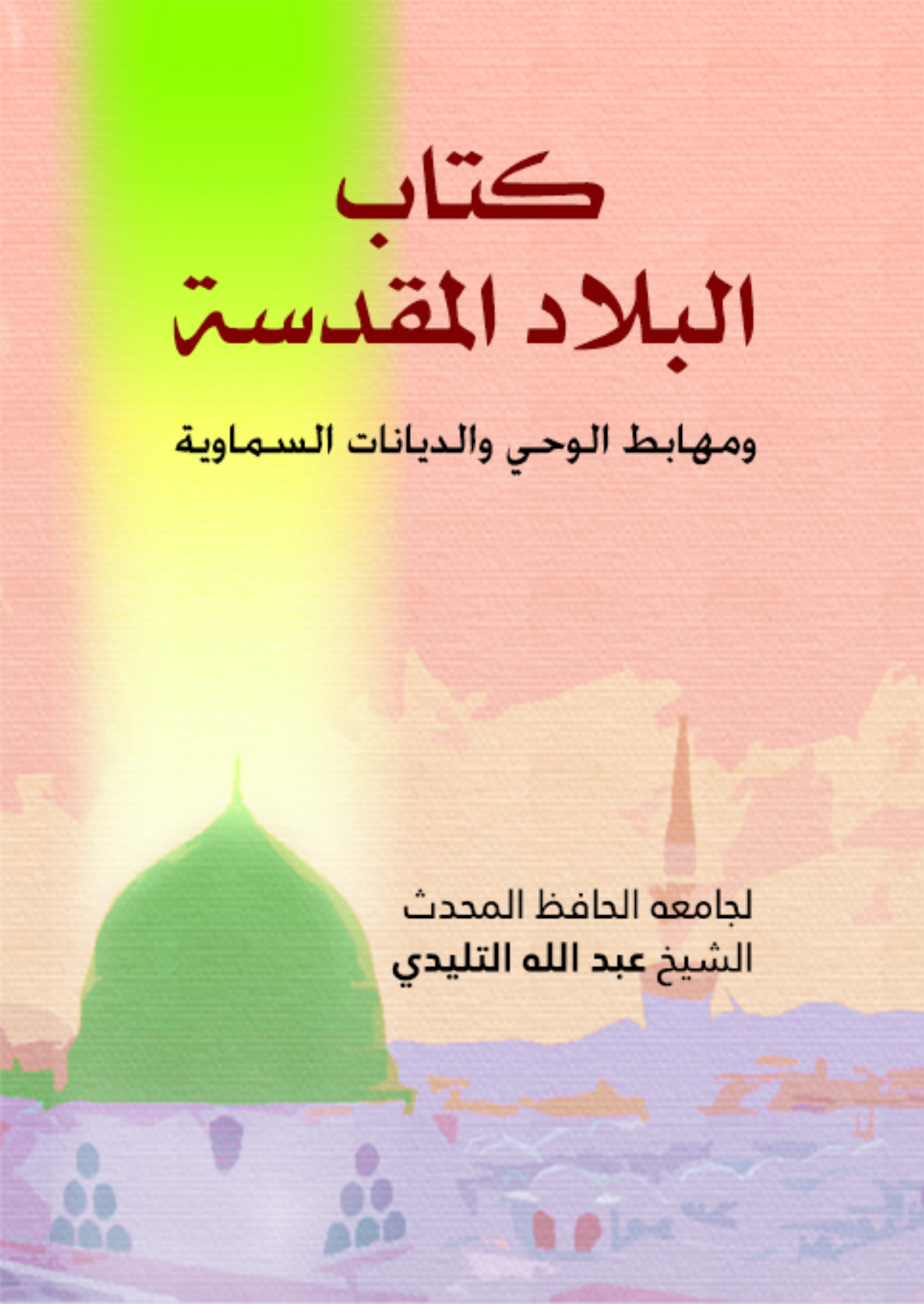

كتاب البلاد المقدسة

ومهابط الوحي والديانات السماوية

لجامعه الحافظ المحدث المعمر
أبي الفتوح عبد الله عبد القادر التليدي
ختم الله له بالسعادة آمين

www.Muhammad.com/talidi

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله على إحسانه وإفضاله والشكر له على إنعامه وآلائه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وزوجه وأصحابه.

وبعد فقد كان للكذابين والوضاعين مجال واسع في وضع الحديث والافتراء على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي يقول في الحديث المتواتر: "من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار".

فلقد كانت لهم سوق نافقة بقى أثر شر ما صنعوا حتى يومنا هذا وإلى ما شاء الله وقد ملئت الكتب الإسلامية على اختلاف أنواعها بهذه الافتراءات لا فرق في ذلك بين كتب التوحيد والأحكام والفضائل والفتن والتصوف ولا بين تفسير كتاب الله عز وجل الذي يجب أن ينزه عن كل ما لا يليق بقداسته.

وقد تفنن الكذابون في الوضع وسلكوا طرقاً في ذلك وافتروا ما طاب لهم وراق في أعينهم فقلما موضوع لم يطرقوه وضعوا في ذات الله تعالى وصفاته وفي ملائكته، وأنبياءه وفي الصحابة مروراً بالخلفاء ومعاوية... وفي الأمراء وفي تأييد المذاهب المختلفة وشارك في ذلك كل الطوائف الشيعة الروافض والخوارج والمعتزلة والنواصب والجهمية والمجسمة إلى آخر الجريدة وغار العنصريون من الآفاق فلم ينسوا بلادهم فاختلقوا أحاديث فضائل البلدان فوضعوا فضائل جدة، وخراسان، وقزوين، وأنطاكية، ونصيبين، والبصرة، والإسكندرية، وعسقلان ومقبرتها إلى غير ذلك وكلها باطلة مفتعلة..

بل حتى أهل المغرب الأقصى لم ينسوا قطرهم فوضعوا فضائل لمدينتي سبتة وفاس وبالغ بعض الأغبياء وأبعد النجعة فقال: إن الجنة جاءت

فوق مدينة فاس بحيث لو سقط شيء من الجنة لسقط على فاس وهذا منتهى التخريف والخبل والغباء.

نعم صح عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الشيء الكثير الطيب في فضل كثير من البلدان، كالحرمين الشريفين، واليمن والشام وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وفضل بعض القبائل العربية كقريش، والأنصار وغفار وأسلم وجهينة وأشجع، وبني تميم، والأشعريين والعجم قوم سلمان رضي الله تعالى عنه وأوصى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأهل مصر لأن لهم رحماً وصهراً وعهداً وفضائل ما ذكرنا كلها مخرجة في الصحيحين أو أحدهما.

وباب الفضائل باب واسع له أجنحة خاصة في كتب السنة المشرفة مطربة تقر بها الأعين وتثلج الصدور.

هذا وفي طليعة فضائل البلدان والآفاق فضائل أشرف بقاع الدنيا وأصقاع الأرض وهي:

مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس المطهر.

وهذه رسالة وضعتها لبيان هذه البلاد وقداستها وفضلها وما خصها الله عز وجل به من الرحمات والخير والبركات، وذكر مؤسسها الأول ومن سكنها وما كان فيها من الوحي الإلاهي ونزول الأديان والكتب السماوية مع تعرضنا لقصة أبي الأنبياء وإمام الحنفاء والموحدين سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وبنيه سادات الدنيا والآخرة، وما يتبع ذلك من الفوائد العزيزة، والعبر والذكريات...

وجعلت الكتاب محتوياً على الآتي من الأبواب:

الباب الأول: البلاد المقدسة.

الباب الثاني: التعريف بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

الباب الثالث: قصة إسماعيل وإسحاق..

الباب الرابع: عبر قصة الخليل عليه السلام.

الباب الخامس: فضائل الأراضي المقدسة.

الباب السادس: ما اشتركت فيه من المزايا.

الباب السابع: فضائل مكو وخصائصها.

الباب الثامن: خصائص المدينة وفضائلها.

الباب التاسع: فضائل بيت المقدس والشام وخصائصهما.

الباب العاشر: بيت المقدس عبر التاريخ والأجيال.

خاتمة في اليهود مع الفلسطنيين.

البلاد المقدسة

إن أشرف بقاع المعمورة وأفضل بلاد الدنيا وأحبها إلى الله عز وجل ثلاث بقاع: "مكة المكرمة"، و" المدينة المنورة"، و"بيت المقدس"، فهذه البقاع الثلاث" ليس لها رابع في الدنيا في القداسة والحرمة والعظمة والفضل وإن كان الله عز وجل أخبر على لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تفضيل بقاع أخر وغيرها كإخباره عن اليمن وأهلها وأسلم وغفار وبطون من الأنصار وجبل أحد وحراء وغير ذلك من فضائل البلدان... لكن هذه الأماكن الثلاث اختصها الله عز وجل بنزول الوحي وسكنى الأنبياء والمشاعر التي أحاطها بها عز وجل وكان أول من شرف هذه البلاد ونزلها وسكنها خليل الله سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لما سبق في علم الله تعالى وقضائه وقدره مما سيكون فيها من الخير والرحمة والبركة في مستقبل الزمان.

وقبل أن نخوض في تفاصيل فضائل هذه البقاع ومزاياها وخصائصها نقدم ترجمة مؤسسها والتعريف به وأين كان ومن أين جاء وما كان من خبره حتى حل هذه البلاد فنقول:

سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام

قصة هذا الرسول العظيم من أطول القصص القرآنية وأشهرها وأروعها وهي ممتعة رائعة يتجلى فيها توحيد الله تعالى والجهاد لأجله والدفاع عنه بأجلى مظهر.

وقد تكرر ذكره عليه الصلاة والسلام في القرآن الكريم نحواً من سبعين مرة، ولم يأت هذا العدد في القرآن الكريم لأحد من الأنبياء المتقدمين إلا ما كان من موسى عليه السلام فإنه ورد ذكره في القرآن أكثر من مائة وثلاثين مرة.

وسنورد بحول الله تعالى وعونه بعض ما جاء من أحاديث نبوية فيه ثم نتبع ذلك بيان قصته كما جاءت في القرآن الكريم بداية من مسقط رأسه حتى موته.

إبراهيم عليه السلام أكرم الناس

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أي الناس أكرم؟ قال: "أكرمهم عند الله أتقاهم" قالوا: ليس عن هذا نسألك؟ قال: "فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله" وفي رواية: "إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم الصلاة والسلام".

رواه البخاري في الأنبياء 228/225/198/7 وفي التفسير ومسلم في الفضائل 134/15 بالرواية الأولى وأحمد 389/346/232/2 والترمذي والنسائي كلاهما في التفسير والحاكم 570/561/346/25 بالرواية الثانية وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

أصل الكرم كثرة الخير ولا شك أن التقوى والدين والنبوة هي الكرم الحقيقي.

نسبه

هو سيدنا إبراهيم خليل الرحمن بن آزر واسمه تَارَح بتاء وراء مفتوحة آخره حاء مهملة ابن نَاحُور بنون وحاء مهملة مضمومة ابن شَارُوخ بشين معجمة وراء مضمومة آخره خاء معجمة ابن راغون بغين معجمة ابن فالخ بفاء ولام مفتوحة أخرى معجمة ابن عبير ويقال عابر وهو بهملة وموحدة ابن شالخ بمعجمتين ابن أرفخشد بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ: لا يختلف جمهور أهل النسب ولا أهل الكتاب في ذلك إلا في النطق ببعض هذه الأسماء.

من صفات خليل الرحمن عليه السلام

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في حديث الدجال الطويل: أما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم. رواه البخاري في الأنبياء 199/7.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال حين أسري به: "لقيت موسى... ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به". رواه البخاري في الأنبياء أيضا 240/239/7 ومسلم في الإيمان 232/2.

فكان خلقه الظاهر وصفته الجسدية شبيها بصفة نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وصفة نبينا معروفة من شمائله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأنه كان أحسن الناس وأجمل الناس كأن الشمس تجري في وجهه وكان وجهه أبهى من القمر قد أعطاه الله تعالى الجمال الكامل ولذا قال ناعته لم أر قبله أحداً مثله ولم أر أحداً بعده مثله، فهو كما قال القائل:

خُلِقْتَ مُبَرَّءاً مِن كلِّ عَيْبٍ،،كَأَنَّكَ قدْ خُلِقْتَ كَما تَشَاءُ

فصفة خليل الرحمن هي نفس صفة نبينا عليهما أفضل الصلاة والسلام.

سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أول من اختتن

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقَدُّوم". رواه البخاري في الأنبياء 199/7 وفي الاستئذان ومسلم في الفضائل 123/15 وغيرهما.

"القدوم" بفتح القاف وتشديد الدال وتخفيفها فعلى الأول اسم مكان وعلى الثاني اسم آلة القطع.

والختان قطع الجلدة المغطاة بها حشفة الذكر وهو من السنن التي سنها خليل الله مع أخواتها سنن الفطرة وهي إحدى عشرة خصلة.

قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، وتنف الإبط، وحلق العانة، والاستنجاء، والمضمضة.

جاء بها حديث عن سيدتنا عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رواه مسلم وغيره وروى الستة خمساً منها من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وسميت هذه الأشياء ومنها الختان فطرة لأنها سنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام التي اختارها الله عز وجل لهم واتفقوا على التخلق بها لأنها من مكارم الأخلاق ومن تحسين الهيئة، وأصبحت كأنها شيء فطري مجبول على التخلق بها من جميع أهل الأديان.

والذي أشاعها وبثها في بنيه هو خليل الرحمن عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، واختتانه عليه السلام بعد ثمانين سنة من عمره يدل على جواز تأخير الاختتان ولو إلى ما بعد البلوغ وفي ذلك خلاف بين علمائنا وعمل الأمة جار على الاختتان في الصغر والله تعالى أعلم.

إبراهيم خير البرية عليه السلام

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال: يا خير البرية، قال: "ذاك إبراهيم" -عليه السلام-. رواه مسلم في الفضائل 121/15 وأبو داود 3672 والترمذي 3134 والنسائي في الكبرى 520/6.

قوله "خير البرية" أي أفضل المخلوقات، وقول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم "ذاك إبراهيم" هو من باب التواضع لأنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال عن نفسه وهو الصادق المصدوق: "أنا سيد ولد آدم" كما في الصحيحين.

ولا شك أن سيدنا إبراهيم عليه السلام خير البريـة بعــد نبـــينا صـــلى الله تعـــــالى

عليه وآله وسلم كما ذكر العلماء في التفاضل بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثم المؤمنون الصالحون هم كذلك خير البرية بنص القرآن الكريم قال الله تعالى في سورة البينة: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ{ 6} إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ{ 7} جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ{8}".

بداية قصة الخليل عليه السلام

الصحيح المشهور عند أهل السير والتاريخ أن الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام أصله من العراق وأنه ولد ببابل بأرض الكوفة

وكانت تلك البلاد وقته تحت حكم الكنعانيين، وبها نشأ إبراهيم عليه السلام وتزوج سارة ثم هاجر بها صحبة ابن أخيه لوط عليه السلام إلى حران ثم فلسطين كما يأتي لاحقاً، وكان الله عز وجل قد أتى إبراهيم رشده في صغره كما قال تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ" سورة الأنبياء الآية 51.

وكان أهل الأرض ومنهم قومه كفاراً فقام عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وترك أصنامهم وآلهتهم المتعددة وبدأ بأبيه وأقرب الناس إليه، فكذبوه وخذلوه وهدده والده بالقتل رجماً، وهو مع ذلك يلاطفه ويرد قوله بأدب بالغ واحترام ولين وكان عاقبة الأمر أن كسر أصنامهم وجعلها قطعا وجذاذاً فأخذوه وألقوه في النار فنجاه الله تعالى منها وقال لها: "قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ" سورة الأنبياء الآية69، ثم تركهم وقال لهم: كما سيأتي بعد إني مهاجر إلى ربي، فهجرهم وما يعبدون من دون الله فأنجاه تعالى ومن معه بالهجرة إلى الأرض المقدسة حيث كان مقره وسكناه صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وعلى سائر أنبيائه.

وفي جملة ذلك وتفصيله تأتي الآيات الكريمات التي تتحدث عنه عليه السلام وقد ذكر الله عز وجل عنه ذلك في ست سور: الأنعام ومريم والأنبياء والشعراء والعنكبوت والصافات وذلك:

قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ{ 51} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ{ 52} قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ{ 53} قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ{ 54} قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ{ 55} قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ{ 56}" سورة الأنبياء، إلى آخر ما سيأتي بعد.

فأخبر عز وجل أنه أعطاه رشده وعرفه به وبدينه، وأنه أنكر على أبيه وقومه عبادة الأصنام والعكوف عليها دون الله تعالى فأجابوه بحجتهم الواهية وهي تقليدهم آباءهم في ذلك، وتوالت المحاورة بينه وبينهم فأجابهم بأنهم ومن سبقهم من الآباء كلهم على ضلال وخلاف الحق فاستفهموه هل أنت على جد وحق في قولك هذا أم أنت مازحاً تداعبنا؟ فأجابهم: بل أقول لكم الحق المبين، فربكم هو رب هذه الأجرام التي تشاهدونها من السماوات والأرض التي خلقها وأنشأها وأنا شاهد على ذلك.

وقال تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ{ 74} وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ{ 75} فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ{ 76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ{ 77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ{ 78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ{ 79} وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ{80}" سورة الأنعام.

فأخبر عز وجل عن إنكار إبراهيم على أبيه اتخاذ الأصنام آلهة من دون الله تعالى وأنه وقومه في ضلال واضح وأنه عز وجل أرى رسوله الخليل عليه السلام أسرار ملكوت السماوات والأرض وسلطانه الباهر

ليكون من الراسخين في اليقين بالله عز وجل فلما جن عليه الليل وستر بظلمته كل شيء رآى كوكباً مضيئاً في السماء يقال هو الزهرة أو المشتري قال لقومه: "هَـذَا رَبِّي" يعني على زعمهم قاله على سبيل الرد عليهم والتوبيخ لهم، واستدراجاً لهم، ليعرفهم جهلهم وخطأهم في عبادة غير الله تعالى مما هو حادث متغير، قال المفسرون: كان أبو إبراهيم آزر وقومه يعبدون الأصنام والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى ألا يكون شيء من هذه الكواكب إلاهاً، وأن وراءها مُحدثاً وخالقا ومدبراً يدبر طلوعها وانتقالها ومسيرها وقوله تعالى: "فَلَمَّا أَفَلَ" أي لما غاب الكوكب قال: لا أحب عبادة من كان كذلك، لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال والغياب، "فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً" أي رآه طالعاً منتشر الضوء، "قَالَ هَـذَا رَبِّي" على الأسلوب المتقدم لفتاً لأنظار قومه إلى فساد ما يعبدون، وتسفيها لأحلامهم، فلما غاب القمر قال لهم لئن لم يثبتني ربي على الهدى لأكونن من أهل الضلال وفيه تعريض بهم بأنهم ضالون، فلما رآى الشمس طالعة وضياؤها أعظم وأشمل من القمر والكوكب قال هذا ربي لأنّه أعظم وأكبر من الكوكب والقمر لكنها لما غابت قال: يا قوم إنني قد برئت من إشراككم وأصنامكم وقد وجهت وقصدت بعبادتي وتوحيدي وجه الله عز وجل وحده الذي ابتدع العالم وخلق هذه السماوات والأرض حنيفاً ومائلاً عن جميع الأديان الباطلة إلى الدين الحق ولست بحمد الله وتوفيقه من المشركين مثلكم ولكنهم مع كل ذلك ووضوح الحق وضلالهم أصروا على كفرهم وشركهم فحاجوه وجادلوه في شأن توحيد الله عز وجل وآلهتهم وخوفوه بها فأجابهم بقوله: أتجادلونني في وجود الله ووحدانيته وقد هداني وبعثني بالحق فأنا لا أخاف ما تشركون به شيئاً من هذه الأصنام الجامدة التي لا تضر

ولا تنفع ولا تسمع ولا تجيب، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: والحق أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام والكواكب السيارة، وأشدهن إضاءة الشمس ثم القمر ثم الزهرة، فلما انتفت الإلاهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار، وتحقق ذلك بالدليل القاطع: "قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ" سورة الأنعام الآية 78.

وقال تعالى: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً{ 41} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً{ 42} يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً{ 43} يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً{ 44} يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً{45} قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً{ 46} قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً{ 47} وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيّاً{48}" سورة مريم.

ذكر تعالى هنا ما دار بين إبراهيم وبين أبيه بأسلوب آخر وذلك بألطف عبارة وأحسن إشارة، وبين له بطلان ما هو عليه هو وقومه من عبادة الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر، ثم نبهه على أن الله تعالى أتاه علماً نافعاً يجب عليه أن يتبعه ليهديه الطريق السوي ثم نهاه عن اتباع الشيطان وحذره منه لأنه كان عاصياً لله عز وجل وبدل أن يهتدي بهدى الله ويستجيب لما دعاه إليه أنكر عليه رغبته عن عبادة آلهته ثم لم يكتف بذلك حتى هدده إن لم ينته عما يدعوه إليه بقتله رجما بالحجارة، فلاطفه الخليل وتأدب معه لأنه والده وقابل خشونته وجفاءه بالكلام الطيب الرقيق: "سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي

حَفِيّاً"، أي لطيفا حيث هداني لعبادته والإخلاص له وسأفارقكم وما تعبدون من دون الله.

وقال تعالى: "وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ{ 69} إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ{70} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ{ 71} قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ{72} أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ{ 73} قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ{74} قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ{75} أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ{76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ{ 77} الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ{78} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ{ 79} وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ{80} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ{ 81} وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ{ 82} رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ{ 83} وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ{ 84} وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ{85} وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ{ 86} وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ{87} يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ{ 88} إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ{89}" سورة الشعراء.

وهكذا جاء في هـــذه الآيات دعـــوته أبـــاه وقومـــه بهـــذا الأسلـــوب فلـــم يـــزدادوا إلا

ضلالاً وإصراراً على كفرهم فلما رآهم غير مرعوين أشهر عداوته لهم ولأصنامهم ومعبودات آبائهم وأسلافهم وبين لهم أن الذي يجب أن يعبد ويعتمد عليه هو خالق الكائنات ومدبرها الذي خلقه وهداه ووالى عليه نعمه وإمداداته فيطعمه إذا جاع ويسقيه إذا عطش ويشفيه إذا مرض والذي يميته ويحييه والذي يرجو أن يغفر له خطيئته يوم الدين.

تحطيم الخليل الأصنام وإلقاؤه في النار

قال تعالى: "وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ{57} فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً إِلَّا كَبِيراً لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ{ 58} قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ{ 59} قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ{ 60} قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ{61} قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ{ 62} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ{63} فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ{ 64} ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ{ 65} قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ{ 66} أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ{ 67} قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ{68} قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ{69} وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ{70}" سورة الأنبياء.

وقال تعالى: "وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ{ 83} إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ{84} إِذْ قَالَ

لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ{ 85} أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ{ 86} فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ{87} فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ{88} فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ{89} فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ{90} فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ{ 91} مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ{92} فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ{ 93} فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ{ 94} قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ{ 95} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ{ 96} قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ{ 97} فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ{ 98}" سورة الصافات.

وقال تعالى: "وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ{16} إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ

الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ{ 17} وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ{ 18} أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ{ 19} قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{20} يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ{ 21} وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاء وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ{22} وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ{ 23} فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ{ 24}" سورة العنكبوت.

فهذه الآيات الكريمات تبين نهاية ما فعل القوم مع الخليل عليه السلام فلقد دعاهم ودعاهم وكرر دعوته مدة ثم آخر المطاف انتهز فرصة عيد لهم فمال إلى آلهتهم فحطمها وكسرها، وجعلها جذاذاً فعلموا به فأتي به فحاورهم في شأنها فلما هزمهم بحججه القواطع وقال لهم: "أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ" هناك أخذتهم عزة الكفر والجحود فقالوا حرقوه فأرادوا به كيداً فجعلهم الله عز وجل الأخسرين الأسفلين فألقوه في النار فلم تؤثر فيه وناداها الرب العلي: "يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ" ولم يزد حينما ألقوه فيها على قوله: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، قال ابع عباس رضي الله تعالى عنهما: "حسبنا الله ونعم الوكيل" قالها إبراهيم حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين قيل له: "إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" سورة آل عمران الآية 173. رواه البخاري في

التفسير، فخرج عليه السلام سالماً من النار ولم تصب منه إلا الوثاق الذي كان موثقاً به.

كل دواب الأرض كان مع الخليل وفي صفه إلا الوزغ

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: إن نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار لم تكن دابة إلا تطفئ النار عنه غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه فأمر عليه الصلاة والسلام بقتله. رواه أحمد 109/83/6 وابن ماجه 3231 بسند حسن صحيح.

وعنها أيضاً أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "كانت الضفدع تطفئ النار عن إبراهيم وكان الوزغ ينفخ فيه" فنهى عن قتل هذا وأمر بقتل هذا. رواه عبد الرزاق في المصنف 8392 بسند صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وعن أم شريك رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أمر بقتل الوزغ وقال: "كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام". رواه البخاري في الأنبياء 205/204/7.

كل ما في السماوات وما في الأرض من غير الإنس والجن مجبولون على معرفة الله تعالى وتقديسه وتحميده وتأييد أنبيائه ورسله ومعرفة الحق وأهله كل قد علم صلاته وتسبيحه وإن من شيء إلا يسبح بحمده.

فهذه الحيوانات والدواب حتى الضفادع كانت عارفة بحقية إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأنه كان مظلوماً من طرف قومه.

كما أن الوزغ وحدها على الخصوص كانت عدوة له في صف الكفار تساعدهم على تحريقه ولذلك أمرنا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

بقتلها أينما وجدناها ووعد على ذلك بأن من قتلها في ضربة واحدة كانت له مائة حسنة وفي ضربتين خمسون حسنة ولله في خلقه شئون.

هجرة الخليل عليه السلام من العراق إلى فلسطين

قال الله تعالى: "فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ{26} وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ{ 27}" سورة العنكبوت..الخ.

وقال عز وجل: "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ{71} وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ{ 72} وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ{73}" سورة الأنبياء.

وقال جل علاه: "وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ{99} رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ{100} فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ{101}" سورة الصافات.

وقال جل ثناؤه: "فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلّاً جَعَلْنَا نَبِيّاً{ 49} وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً{50}" سورة مريم.

كل ما جرى للخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بينه وبين أبيه وقومه ومحاججتهم إياه وما آل إليه أمره معهم بعد إقامة الحجة عليهم وتحطيمه أصنامهم مع إلقائه في النار كل ذلك وقع له بالعراق، ولما بلغ بهم الأمر إلى ما ذكر خرج من بين ظهرانيهم فاعتزلهم وهجر ديارهم وبلادهم وتوجه إلى بيت المقدس ولم يكن معه مؤمنا في رحلته هذه إلا زوجته سارة عليها السلام التي كان قد تزوجها ببابل أو بحران وابن أخيه

لوط عليه السلام فلما قاطع قومه وأقاربه وعشيرته ونزل الأرض المقدسة وهبه الله عز وجل الأولاد الصالحين إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب أسلاف الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وجعل تعالى في ذريته النبوة والكتاب، فكل نبي جاء وبعث بعده فهو من ذريته، وكل كتاب نزل من عند الله عز وجل على نبي من الأنبياء ممن جاء بعده فعلى أحد بنيه وعقبه إكراماً من الله عز وجل له، وخلعة منه تعالى عليه حيث ترك بلاده وأهله وعشيرته وهاجر إلى دار الغربة التي بارك الله تعالى فيها للعالمين وهي الشام وأرض فلسطين كما يأتي إن شاء الله تعالى.

فكانت بعده سكن الأنبياء ومحط القداسة ومهبط الوحي ونزول أصل الديانتين اليهودية والنصرانية وكونت للبشرية تاريخاً طويلا وسيأتي أخبار بني الخليل الصالحين عليهم السلام لاحقاً.

دخول إبراهيم مصر وقصته مع ذلك الطاغية

وشأن سارة وهاجر

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلا ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله تعالى قوله: "إِنِّي سَقِيمٌ"، وقوله: "بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا"، وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له: إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخِذَ فقال: ادعي الله لي ولا أضُرك فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض

حجبته فقال: إنك لم تأتني بإنسان إنما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مَهْيَم قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر" قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء. وفي رواية: "فلما دخلت إليه قام إليها فأقبلت تتوضأ وتصلي وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط على الكافر، قال: فَغُطَّ حتى ركض برجله قالت: اللهم إنه إن يمت يقل هي قتلته قال: فأرسل ثم قام إليها فقامت تتوضأ وتصلي وتقول: اللهم إن كنت تعلم أني آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي الكافر قال: فغط حتى ركض بر جله قالت: اللهم إنه إن يمت يقل هي قتلته قال: فأرسل فقال: في الثالثة أو الرابعة ما أرسلتم إلي إلا شيطاناً أرجعوها إلى إبراهيم وأعطوها هاجر، قال: فرجعت فقالت لإبراهيم أشعرت أن الله عز وجل رد كيد الكافر وأخدم وليدة".

رواه أحمد 404/403/3/4 والبخاري في الأنبياء 204/201/7 وفي النكاح وفي البيوع وفي الهبة ومسلم في الفضائل 123/15 وأبو داود 2212 والترمذي في التفسير 2962 مختصراً.

قوله: "لم يكذب" الكذب ضد الصدق وهو الإخبار بخلاف الواقع، وإطلاق الكذب هنا على ما ذكر من باب المعاريض لأن قصده خلاف ما فهمه عنه الناس. وقوله: "في ذات الله" أي فيما يرجع إلى توحيد الله تعالى ودينه، وقوله: "سقيم" أي مريض، وقوله: "بل فعله كبيرهم" يعني صنمهم الأكبر، وقوله: "أختي" أي في الدين، وقوله: "فأخذ" يعني قبضت يده قبضة لم يستطع أن يحركها، وقوله: "غط حتى ركض برجله" أي اختنق حتى صار كأنه مصروع يتخبط ويضرب برجله الأرض، وقوله:

"مهيم" أي ما شأنك، وقوله: "يا بني ماء السماء" المراد بهم العرب أولاد هاجر سموا بذلك لأنهم يعيشون على المرعى والكسب وذلك ناشئ عن ماء السماء، أو المراد أنهم أولاد إسماعيل وهو ربي بماء زمزم وهو في الأصل من ماء السماء.

قال أهل السير والأخبار إن الخليل عليه الصلاة والسلام سكن أولا فلسطين مدة ثم جاءت مجاعة حملته على الهجرة إلى مصر فدخلها وكان بها ملك جبار طاغية لا يسمع بامرأة حسناء إلا أخذها، وكانت سارة امرأة الخليل عليهما السلام قد أوتيت حُسناً وجمالا فكان ما تقدم في الحديث...

رجوع الخليل من مصر إلى فلسطين وولادة إسماعيل عليه السلام

قال تعالى: "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ{100} فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ{101}" سورة الصافات.

هذا المبشر به هنا الأكثر أنه إسماعيل عليه السلام بل هو الحق الأبلج الذي لا يجوز اعتقاد غيره.

رجع الخليل عليه السلام من مصر مصحوباً بزوجته سارة وخادمتها هاجر القبطية عليها السلام التي وهبها لها ذلك الجبار فرعون وقته فاشتاق الخليل عليه السلام إلى ولد صالح يحن إليه ويساعده على دعوته وكانت سارة عقيماً لا تلد فوهبته هاجر فواقعها فسأل الله عز وجل: "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ" سورة الصافات، فجاءته البشرى بالغلام الحليم فحملت به هاجر ولما وضعته غارت منها سارة على عادة الضرائر سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا.

مهاجرة إبراهيم بهاجر وابنها إسماعيل عليهم السلام إلى مكة

ولما اشتد الأمر بين سارة وهاجر وكادت سارة كما قالوا أن تبطش بهاجر أمر الله عز وجل خليله إبراهيم عليه السلام أن يهاجر بهما إلى جبال فاران وهي مكة المكرمة.

وبين البلدين من المسافة ما هو معروف عند الناس ولكن الأنبياء كما يؤخذ من أحاديث الإسراء كانوا يركبون البراق إلى المسافات البعيدة.

وفي هذا الموضوع جاء حديث ابن عباس بذكر القصة مطولة:

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: أول ما اتخذ النساء المِنْطَقَ من قبل أم إسماعيل عليهما السلام اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل عليهم السلام وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مراراً، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت، فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: "رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" سورة إبراهيم الآية 37، وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما في السقاء عطِشَتْ وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوَّى أو قال يَتَلَبَّط

فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطتْ من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هلى ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "فَذَلِكَ سَعْيُ الناسِ بَيْنَهُما" فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت: صَهٍ تريد نفسها، ثم تسَمَّعَتْ فسمعت أيضاً فقالت: قد أسْمَعْتَ إن كان عندك غَوَاثٌ فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس: قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "يَرْحَمُ الله أم إسماعيل لو تركتْ أو قال: لو لم تغرف مِن زمزم لكانت زمزمُ عيناً معيناً" قال: فشربت وأرضعت ولدها فقال لعا الملكُ: **"لا تخافوا الضيعة فإن ههنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله"** وكان البيت مُرْتَفَعاً مِنَ الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كُدَاء فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عائفاً فقالوا: إن هذا الطائر يدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جَرِيّاً أو جَرِيَّيْنِ فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال: وأم إسماعيل عند الماء فقالوا: أتأذنين أن ننزل عندك؟ قالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم قال ابن عباس: قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهليلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم

وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه امرأة منهم، وماتت أم إسماعيل هاجر عليها السلام فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يُطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت إليه قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا في جهد وشدة قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرئك السلام ويقول غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك الحقي بأهلك فطلقها وتزوج امرأة منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأثنت على الله عز وجل فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم قال: فما شرابكم؟ قالت: الماء قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء" قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه، قال: فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه" قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فأخبرته فسألني كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك، ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يَبْري نبلا له تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد قال لإسماعيل: إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك ربك قال: وتعينني؟

قال: وأعينك قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتاً وأشار إلى أكَمَةٍ مرتفعة على ما حولها قال: فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" سورة البقرة الآية 127، قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ".

رواه أحمد 310/347/253/1 والبخاري في الأنبياء 218/216/208/7 ورواه أيضاً أحمد 121/5 وابن حبان 36/9 عن ابن عباس عن أبي رضي الله تعالى عنهم مختصراً بلفظ: "إن جبريل عليه السلام لما ركض زمزم بعقبه جعلت أم إسماعيل تجمع البطحاء فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: رحم الله هاجر أم إسماعيل عليهما السلام لو تركتها لكانت ماء معيناً".

وفي رواية للبخاري: "لما كان بين إبراهيم وبين أهله عليهم السلام ما كان خرج بإسماعيل وأم إسماعيل..الخ".

والتعليق على الحديث وفوائد يأتي لاحقاً في فوائد قصة إبراهيم عليه السلام.

بسط قصة تأسيس بيت الله الحرام وأنه أول بيت وضع في الأرض للناس لعبادة الله تعالى

قال الله تعالى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ{96} فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً" سورة آل عمران.

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

أنه سأله عن أول مسجد وضع للناس قال: "المسجد الحرام" قلت: ثم أي؟ قال: "المسجد الأقصى" قلت: كم كان بينهما؟ قال: "أربعون عاماً" ثم قال: "حيثما أدركتك الصلاة فصل والأرض مسجد لك". رواه أحمد 166/150/5 والبخاري في الأنبياء 273/7 ومسلم في المساجد 3/2/5.

وقال تعالى: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{ 127} رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ{ 128} رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ{129}" سورة البقرة.

وجاء في ذكر بيت الله تعالى آيات ربما نذكرها في فضائل مكة إن شاء الله تعالى.

والمقصود هنا هو أن أول بيت وضع في الأرض لعبادة الله تعالى هو هذا البيت المقدس وأن أول من بناه الخليل بمساعدة ولده إسماعيل عليهما السلام.

وكان قبل ذلك ربوة من الأرض مرتفعة كذلك خلقه الله تعالى منذ خلق السماوات والأرض والجمهور أن أول من بناه وأظهره خليل الرحمن علبيه السلام. قال ابن كثير رحمه الله تعالى في البداية: ولم يجيء في خبر صحيح عن معصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في هذا بقوله تعالى: "مَكَانَ الْبَيْتِ" سورة الحج الآية 26، فليس بناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه المقدر في علم الله تعالى المقرر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم عليه السلام إلى زمن

إبراهيم عليه السلام فكان هذا البيت أول مسجد وضع في الأرض لعبادة الله تعالى وكان أول من بناه الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام وهما يدعوان عند ذلك بما جاء في القرآن الكريم هـــ.

وإخلاداً لأثر الخليل عليه السلام وإكراماً لهذا البيت العظيم أنزل الله عز وجل الحجر الأسود والمقام من الجنة، فالحجر وضع عند الركن اليماني الشرقي وجعل هنالك كرمز لمصافحة الله عز وجل ولله المثل الأعلى تقدس وتنزه عن صفات المحدثات والمقام كان بين الركن وحجر إسماعيل ثم نقل مؤخراً حيث هو الآن داخل قبة زجاجية يراه كل الطائفين.

ولما بنى الخليل البيت أمره الله عز وجل بتطهيره من الأقذار الحسية والمعنوية للطائفين والقائمين والركع السجود كما قال تعالى: "وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" سورة الحج الآية 26. كما أمره أن يؤذن في الناس بحجه وأن يأتوه من جميع الأقطار والجهات قال تعالى: "وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ" سورة الحج الآية 27.

ثناء الله عز وجل على الخليل والإشادة به

قال الله تعالى: "وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" سورة البقرة الآية 130.

وقال تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ{120} شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ{ 121}" سورة النحل.

وقال تعالى: "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً" سورة النساء الآية 125.

وقال فيه وفي ولديه العظيمين أبوي الأنبياء إسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام: "وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ{45} إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ{ 46} وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ{47}" سورة ص.

والقرآن الكريم مليء بذكره والثناء عليه صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وعلى آلهما فهو خليل الرحمن ولم يحظ بهذه الصفة –الخلة- أحد غيره وغير نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو المصطفى في الدنيا ومن الصالحين في الآخرة وهو الذي ابتلاه الله عز وجل بكلمات من تكاليفه الشاقة فوفى بها كما قال تعالى: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" سورة البقرة الآية 124، وهو الذي جعل إماما للناس من جميع أهل الملل والديانات الإلاهية فالكل ينتمون إليه ويقتفون أثره ويفخرون باتباعه ويمدحونه ويثنون عليه ويؤمنون به وهو الذي جعل الله عز وجل في ذريته النبوة والكتب فكل من جاء بعده من الأنبياء فمن أولاده وكل كتاب نزل من السماء من الكتب العظمى الأربعة نزلت على أولاده وأعقابه.

يضاف إلى كل ذلك أنه جد خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم سيدنا محمد صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم وحسبه بذلك شرفاً ونبلاً.

نبذة قصيرة في التعريف بإسماعيل عليه السلام

عن سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على قوم من أسلم وهم يتناضلون في السوق فقال: "ارموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً". رواه البخاري.

"يتناضلون" أي يترامون أيهم أسبق.

وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً".

وفي رواية: "إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً" أو قال: "ذمة وصهراً".

رواه أحمد 175/173/5 ومسلم في الفضائل باب وصية النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأهل مصر 97/96/16 ورواه الحاكم 553/2 والطحاوي في مشكل الآثار 134/3 عن كعب بن مالك بلفظ: "إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً" وسنده صحيح.

قوله: "استوصوا" أي اقبلوا وصيتي فيهم أو ليوصي بعضكم بعضاً بهم والذمة أي ذمة الإسلام وعهده وهي التي دخلوا بها أيام عمر رضي الله تعالى عنه عندما فتحت فإنها فتحت صلحاً فكان لهم عهد يجب الوفاء به. والرحم هنا كون سيدتنا هاجر أم إسماعيل عليهما السلام من مصر كما تقدم في قصة الجبار الذي أهداها سارة.

أما الصهر فإن مارية عليها السلام التي كان أهداها المقوقس للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كانت مصرية قبطية وهي والدة إبراهيم ابن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وقد قدمنا أن نبي الله إسماعيل عليه السلام كان بكر أبيه وأول مولود له بشر به وكان من هاجر التي وهبتها سارة لزوجها الخليل عليه السلام وكانت ولادته ببيت المقدس وهاجر به والده مع أمه هاجر إلى مكة وهو رضيع وبها نشأ واستقر وتزوج وأنجب وتوفي وكل من جاء بعده من سكان الحرم فمن أولاده وعنه توارثوا العربية كما تعلمها هو الآخر من الجراهمة.

وكان من جملة المرسلين بعث إلى عرب الجزيرة ولم يأت نبي لهم بعده حتى جاء خاتم النبيئين حبيبنا المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وقد ذكر الله عز وجل إسماعيل عليه السلام في القرآن مفرداً وحده وأثنى عليه بقوله: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَـــانَ رَسُـــولاً نَّبِيّـــــاً{54}

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً{55}" سورة مريم.

فقد وصفه الله عز وجل في هاتين الآيتين بأربع صفات كل واحدة منها لها شأن.

أولاها، صدق وعده وعدم خلفه لذلك ولا أوفى من صبره على الذبح كما يأتي وتسليمه نفسه لوالده طاعة لله عز وجل ليذبحه امتثالا لأمر الله تعالى بذلك.

ثانيها، وصفه بالنبوة والرسالة ويا لهما من صفة.

ثالثها، كان عليه السلام يحض ويحث أهله على أداء شعائر الدين وخاصة أمهاتها كالصلاة والزكاة.

رابعها، رضاء الله عز وجل وهذا نهاية المدح فإن الغاية القصوى التي يتطلع إليها كل عبد مؤمن صادق أن يكون عند الله تعالى مرضياً ومن كان كذلك كان أسعد السعداء.

وذكره الله تعالى مع نبيئين عظيمين ووصفهم بأنهم من الأخيار يعني أكابر الأخيار فقال تعالى: "وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ" سورة ص الآية 48.

وذكره في جملة الأنبياء من أولاد إبراهيم ونوح عليهما السلام حيث قال في سورة الأنعام: "وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ{84} وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ{ 85} وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ{86}"، فأخبر أنه من جملة من فضله الله على العالمين.

كما ذكره في جمهرة أخرى من الأنبياء في سورة الأنبياء حيث قال تعالى: "وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ{ 85} وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ{86}". فأخبر عنه أنه من جملة الصابرين وأنه في رحمة الله ومن الصالحين.

وكفاه فضلاً وشرفاً تسليمه نفسه لله تعالى وطاعته أمره عز وجل ليذبح ولم يتلعثم في سرعة الامتثال بل بمجرد ما عرض عليه والده ذلك أجابه بقوله: "افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ" سورة الصافات الآية 102.

وفي هذا يقول تعالى: "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ{101} فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ{ 102} فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ

لِلْجَبِينِ{103} وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ{ 104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ{ 105} إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ{ 106} وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ{107}"سورة الصافات.

كان إسماعيـــل عليه السلام أول مولـــود لإبراهيم عليه السلام وبكــره كــما قدمنـــا ولما شب وصار يسعى في مصالحه أراد الله عز وجل أن يبتلي خليله بذلح هذا الولد العزيز عليه فأمره بذبحه في رؤيا رآها ورؤيا الأنبياء وحي فسارع إلى امتثال أمر الله تعالى وطاعته، ثم عرض هذه الرؤيا على ولده الضحية ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه فبادر الغلام الحليم إلى موافقة ما أمر به والده فقال له: "يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ".ولا ندري أين رآى الخليل عليه السلام هذه الرؤيا هل ببيت المقدس أم بمكة في بعض زياراته لهاجر وولده إسماعيل ولم نر من تعرض لذلك وعلى كل فلما استسلما لأمر الله عز وجل وعزما على ذلك وألقى الغلام على وجهه ليذبحه من قفاه عند ذلك نودي من قبل الله عز وجل: "يَا إِبْرَاهِيمُ{ 104} قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا" أي قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك لأمرنا وابتلائنا قال تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ" وأي بلاء أعظم من أن يؤمر الإنسان بذبح ولده. ففداه الله تعالى بذبح وكبش عظيم فذبحه بدلا عنه وبذلك انتهت المحنة من الجانبين.

وفاة إبراهيم وهاجر وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام

لا يعرف على التحقيق كم عاش إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولا كيفية موته وإنما المعروف المقطوع به هو أنه ولد بالعراق وبها نشأ وبها نبي وأرسل إلى قومه وأنه هاجر منها بعد خروجه من النار سالماً وسكن بيت المقدس ودخل مصر وهاجر بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة وأسكنهما هنالك وكان يتردد إليهما وإلى ولده وأهله بعد موت هاجر وأنه الذي بنى الكعبة وأول من حج وقضى المناسك وأنه ابتلي بذبح ولده وفي النهاية جاءه أجله المحتوم ببيت المقدس هذا مما لا ينبغي أن يختلف فيه وظواهر نصوص القرآن الكريم تدل على أنه خلف بعده أولاده إسماعيل وإسحاق ويعقوب وابن أخيه لوط عليهم الصلاة والسلام بعدما أرسل هذا الأخير إلى قوم لوط وأهلكهم الله تعالى في حياة إبراهيم كما تقدم في البشرى بإسحاق.

وجمهور المؤرخين أنه أقبر في مدينة الخليل، قال ابن كثير في البداية والنهاية: فقبره وقبر ولده إسحاق وقبر ولده يعقوب عليهم السلام في المربعة التي بناها سليمان بن داود عليهما السلام ببلد جبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم، وهذا تلقي بالتواتر أمة بعد أمة، وجيلا بعد جيل، من زمن بني إسرائيل وإلى زماننا هذا أن قبره بالمربعة تحقيقاً. فأما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن معصوم فينبغي أن تراعى تلك المحلة وأن تحترم احترام مثلها، وأن تُبجَّل وأن تُجَلَّ أن يداس في أرجائها خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تحتها.

قلت: وزرت الخليل والحمد لله مرتين مرة عام 1384 سنة 1964 ومرة ثانية عام 1386 سنة 1966 ورأيت هنالك قبوراً عدة عليها درابيز يقال

أنها قبور الخليل وإسحاق ويعقوب ويوسف وزوجاتهم، فالله أعلم بالواقع والأمر كما قال ابن كثير رحمه الله تعالى فينبغي احترام تلك البقاع بل لا مفهوم لهذه البقعة فإن تلك البلاد لا تخلو منها بقعة من جثث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنها بلادهم وبها كانوا يعيشون.

أما سيدنا إسماعيل ووالدته هاجر عليهما السلام فتوفيا بمكة المكرمة قطعاً فهاجر توفيت في حياة إبراهيم عليه السلام وإسماعيل توفي مؤخراً وكلاهما مدفونان هنالك ولا يعرف موضع قبريهما على التحقيق وإن كان ورد في بعض الآثار أنهما في الحجر أو في الحطيم، ولا يصح في ذلك شيء.

إسحاق وولده يعقوب

يبقى الأمر في الكلام على إسحاق ثم ابنه يعقوب هو الآخر.

إسحاق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام جاء ذكرهما في القرآن الكريم في غير ما سورة وبشر الله عز وجل بهما خليله عليه السلام بواسطة الملائكة الكرام في طريقهم إلى إهلاك قوم لوط كما قال تعالى: " فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ{ 71} قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ{ 72} قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ{73}" سورة هود.

وقال عز وجل في شأن إسحاق وحده: "إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ{ 53} قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ{ 54} قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ{55}" سورة الحجر.

وقال جل علاه: "وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ{ 28} فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ{ 29} قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ{30}" سورة الذاريات.

"في صرة" أي صيحة وضجة، "فصكت وجهها" أي لطمت وجهها بيدها تعجباً شأن النساء.

وقال عز من قائل: "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ{ 112} وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ" سورة الصافات.

وقال تعالى فيهما أيضاً: "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ{72} وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ{73}" سورة الأنبياء.

وقال جل ثناؤه: "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا" سورة الأنعام الآية 84.

وجاء ذكرهما في حديث الكرام كما سبق وهو في الصحيحين.

فهذه الآيات الكريمات كلها سيقت لبشارة الخليل وسارة بابنيهما العظيمين إسحاق ويعقوب عليهم جميعاً الصلاة والسلام وأنهما هبة من الله عز وجل وقوله: "نافلة" أي زيادة زادها الله تعالى إياه على إسحاق.

فقد كان الخليل سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام تقدم في السن وشاخ كزوجته سارة ولم يولد لهما شيء ولما أهدت له هاجر دعا الله عز وجل أن يهب لها ولداً صالحاً فبشره بغلام حليم كما قال تعالى: "رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ{ 100} فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ{ 101}" سورة الصافات، فكان إسماعيل عليه السلام ولما غارت سارة من هاجر وذهب الخليل بها وبابنها إسماعيل الرضيع إلى جبال فاران –مكة المكرمة- ورجع بشرهما الله تعالى بغلام آخر من سارة وزادهما نافلة ولداً آخر حفيداً لهما من إسحاق في حياتهما فجاء إسحاق أولاً ثم عاش وتزوج وجاء ثانياً يعقوب وولدا معاً في حياة الخليل وزوجه سارة عليهم الصلاة

والسلام وكان ذلك من آيات الله الباهرة ورحمته وبركته على بيت النبوة حيث وهب الله تعالى له إسماعيل وإسحاق على كبر سنه وسن سارة كما قال جل ثناؤه وهو يحمده على ما أعطاه: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء" سورة إبراهيم الآية 39.

وكان كل من إسحاق ويعقوب وإسماعيل ووالدهم الخليل وقبلهم نوح وبعدهم الخاتم عليهم الصلاة والسلام من كبار الأنبياء الصالحين الذين أكرمهم الله تعالى واصطفاهم وكرمهم بوحيه الإلاهي كما قال تعالى: "إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً" سورة النساء الآية 163.

وكانوا من جملة الأنبياء وسادات الرسل الذين يجب الإيمان بهم وبما أنزل الله تعالى عليهم من الكتب والصحف كما قال جل ذكره: "قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ" سورة البقرة الآية 136.

وأثنى عليهم سبحانه الثناء الجميل العظيم بقوله: "وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ{ 45} إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ{ 46} وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ{ 47}" سورة ص.

وجاء ذكر جميعهم في وصية الخليل ويعقوب بنيهما فقال تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ{ 131} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ{132}" سورة البقرة.

وفاة إسحاق عليه السلام

لا ندري شيئاً عن وفاة إسحاق وابنه يعقوب عليهما السلام ولم يرد شيء في ذلك يعتمد عليه وإنما المعروف المتواتر هو أنهما مقبوران في مدينة الخليـــل كمـــا

قدمنا عن ابن كثير رحمه الله تعالى.

من فوائد وعبر قصة الخليل وتوابعه جملة وتفصيلا

قصة الخليل عليه الصلاة والسلام من أروع القصص القرآنية وفيها من العبر والفوائد والذكريات الشيء الكثير مما لا يخفى على من تتبعها وتدبرها وأمعن النظر فيها وإلى القارئ بعض عيون ما يؤخذ منها:

ففيها صبر الخليل عليه السلام على ما قاساه من قومه في سبيل دعوته إياهم.

وفيها ما كان عليه من الحلم والأدب ومقابلة عنف والده وخشونته بالليونة وحسن المعاملة والرفق. وفيها تلك المعجزة الباهرة من عدم تأثير النار فيه وخروجه منها سالماً وهذه من المعجزات الفاذة التي لم تقع لغيره من الأنبياء عليهم السلام. وفيه أن الحيوان تشعر وتعقل وتدرك وأن الله عز وجل جبلها وفطرها على معرفته تعالى ومعرفة الحقائق التي ألهمها الله تعالى. وفيها هجرته من العراق مسقط رأسه إلى حران ثم الشام وكان أول من هاجر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ثم توالت بعده هجرتهم حتى خاتمهم نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وفيها دخوله مصر وقصته مع ذلك الطاغية الجبار وفي هذه القصة عبر ومعجزات له ولزوجه سارة عليهما السلام من ذلك جواز الكذب للمصلحة مع التعريض كمن يقال هل هنا فلان فيقال: ليس هنا ويشير إلى غير موضعه أو يقول شخص لآخر أسلفني كذا وكذا فيقول ليس

عندي شيء وله أن يحلف على ذلك وينوي في نفسه ليس عندي شيء لك وهكذا كما فعل إبراهيم في الكذبات الثلاث فإنها كلها من هذا القبيل.

ومن ذلك حفظ الله عز وجل لأوليائه الصالحين وزوجاتهم وأعراضهم من كيد الكائدين وغيرته عليهم وحمايتهم مما يخدش كرامتهم وأعراضهم كما فعل مع الجبار. وفيها فضل سارة وانتقام الله تعالى لها من ذلك العدو واختناقه كلما أراد مسها وهذا من عظيم عناية الله تعالى بها واستجابته لها كلما صلت ودعت. ومنها أن السيدة هاجر عليها السلام أصلها مصرية قبطية وهو الذي صرح به حديث مسلم الذي فيه: "فإن لهم رحماً" والمراد بالرحم هي هاجر فالمصريون الأقباط أخوال العرب القرشيين فينبغي لنا معشر العرب البرور بهم والإحسان إليهم والتواصي بهم ولا سيما المسلمين منهم.

وفي قصة هاجر مع سارة عندما ولد إسماعيل من هاجر عبر أيضاً وفوائد هامة منها بيان أن النساء مجبولات على الغيرة بينهن وأن الضرائر سواء كن حرائر أم إماء مهما بلغن في الصلاح والتقوى والرفعة في الدين لا يخرجن عن طبائعهن وفي حياة أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن نساء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نماذج في ذلك ولكنهن لم يصل بهن الحال إلى ما بلغ بسارة مع هاجر، فإنها أرادت البطش بها، ولذلك عالج الله تعالى ذلك بأمره إبراهيم عليه السلام بالهجرة بهاجر وابنها إلى جبال فاران بمكة حيث سبق في علم الله وقضائه وقدره ستكون الأمة الإسلامية المحمدية، ففرق بينهما بالهجرة فلم يجتمعا ولا تراءيتا قط حتى ماتتا عليهما السلام. ومنها ما كان عليه الأنبياء وذووهم من التوكل الكامل على الله تعالى والاعتماد عليه والثقة به، وإلا فمن هذا الذي يترك امرأة ورضيعاً في القفار بين جبال قاحلة ليس بها أنيس وينصرف ثم أين

توجد هذه المرأة التي تثق بالله تعالى وتصبر على الوحدة والغربة في تلك الأماكن... ولكنها الثقة بالله تعالى والتوكل عليه مع العناية الربانية والتوفيق الإلاهي. ومنها فضل السيدة هاجر وتَمَامُ يَقينها ومعرفتها بالله تعالى وصبرها على ضيق العيش والوحدة ولذلك أكرمها الله عز وجل بأن جعل آثارها شعائر للحج والعمرة يقتدي بها ويقتفي أثرها كل من جاء بعدها من الأمم التي تدين بدين الإسلام وخاصة الأمة المحمدية.

فالسعي بين الصفا والمروة أثر من آثارها جعل واجباً إسلامياً وشعيرة من كبار شعائر الحج والعمرة لا يصح واحد منهما إلا مع السعي بينهما إشادة بذلك البيت الطاهر وإخلاداً لذكراهم وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في نبوة هاجر كباقي النسوة الأخريات وهن حواء وأم موسى وآسية ومريم عليهن السلام فذهب جماعة إلى نبوتهن وبه قال أبو الحسن الأشعري وابن حزم وغيرهما وذهب الجمهور إلى أن النبوة خاصة بالرجال حتى قال سراج الدين الفرغاني في بدء الأمالي:

وما كَانَتْ نَبِيّاً قَطُّ أُنْثَى،،،ولا عَبْدٌ وشخصٌ ذُو افْتِعَالِ

ومنها أن الملائكة قد تتراآى للصالحين وتكلمهم وتخاطبهم وتبشرهم بما هم له أهل كما فعل جبريل عليه السلام مع هاجر وفي الموضوع أحاديث تدل لذلك جمعها الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في رسالة له: "تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك" مطبوعة.

ومنها فضل زمزم وأن ماءها ما هو إلا أثر ضربة جبريل عليه السلام بعقبه أو جناحه وهي آية من آيات الله تعالى الباهرة عند بيت الله الحرام وماؤها أشرف ماء على وجه الأرض وهي عين معين عبر الأجيال والأعصار منذ انفجارها ومن بركة هذا الماء أنه يكفي للتغذية وقد عاشت به هاجر وولدها مدة كما اكتفى بها غير واحد عبر العصور وقد

جاء في صحيح مسلم ومسند الطيالسي عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنها طعام طعم وشفاء سقم، وسيأتي بقية لفضلها في فضل البلد الأمين إن شاء الله تعالى. ومنها دعاء الخليل عليه السلام مع أهله وذريته وسؤاله ربه أن يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فاستجاب الله دعاءه في ذلك كله وفيها غير ذلك.

أما بالنسبة لابنيه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ففي قصتيهما فوائد وعبر أيضاً نكتفي منها بالآتي:

فالبنسبة لإسماعيل عليه السلام إنه عربي مستعرب تعلم العربية من الجراهمة الذين سكنوا معه مكة وتصاهر معهم ولغة أهل الحجاز هي لغته.

أما العرب العارية فهم القحطانيون أهل اللسان العربي القديم وكل من إسماعيل وإسحاق ولدا ببيت المقدس لكن إسحاق لم يستوطن سواها.

ومن إكرام الله عز وجل لإسماعيل وإسحاق أن جعل الله عز وجل الكتاب والنبوة في نسليهما.

فإسحاق جاء منه يعقوب وهو الذي أنجب الأسباط وهم أجداد القبائل الإسرائيلية وما من نبي جاء بعدهما وهم ألوف مؤلفة إلا كان من ذريتهما وأعقاب أولادهما فقلما نبي خرج عن نسليهما ممن جاء بعدهما، نعم إسماعيل عليه السلام ليس في نسله نبي إلا أشرفهم وسيدهم وخاتمهم سيد السادات حبيبنا الشفيع المشفع سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

والعرب لم يكن فيهم نبي إلا الآتي:

نبي الله هود عليه السلام الذي بعثه الله لقوم عاد وكان مسكنهم بالأحقاف بأطراف اليمن لجهة الحجاز ونبيه صالح عليه السلام الذي أرسله لقوم ثمود وكانوا بالحجر بين المدينة وتبوك ونبيه شعيب عليه السلام الذي بعثه الله تعالى إلى أهل مدين المطففين ومدين هي الآن في الأردن وهي من أرض مدينة معان ثم الخاتم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والباقي وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر كلهم من بني إسرائيل إلا من كان قبل إبراهيم كنوح وإدريس وشيت وآدم عليهم الصلاة والسلام.

وهذا كله مصادق قوله تعالى لخليله وولديه إسحاق ويعقوب عليهم السلام: "وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ" سورة العنكبوت الآية 27.

وهنا سؤال كثيراً ما يطرح وهو من هو إسرائيل الذي ينسب إليه بنو إسرائيل واليهود والجواب أن كلمة "إسرائيل" هي سريانية ومعناها عبد الله لأن إسرا عبد وإيل الله فمعناه عبد الله وهو لقب لنبي الله تعالى يعقوب بن إسحاق عليهما السلام الذي هو أبو الأسباط الذين تفرعوا من أولاده الإثنى عشر وقوله تعالى: "فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" سورة هود الآية 71، هو كالنص في أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام لأنه من المستحيل

الذي ينزه الله تعالى عنه أن يبشر خليله بولد وولد لهذا ثم يأمره بذبحه هذا مستحيل يجل عنه مولانا العظيم،وقد تقدم في غضون قصة إبراهيم قصة الذبح وما فيها من العبرة فلتراجع.

فضائل الأراضي المقدسة

كان من اللائق والمفروض أن نبدأ بفضائل الشام وبيت المقدس لأنها البلاد الأولى التي تشرفت بحلول سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام بها لكننا آثرنا تقديم مكة المكرمة لما لها من القداسة والمكانة والعظمة والحرمة التي ليست لغيرها لاحتوائها على بيت الله الحرام وما يتعلق به مما جعلها عند الله عز وجل أحب البقاع إليه وإلى رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وسنذكر أولا ما اشتركت فيه هذه البلاد من المزايا والفضائل ثم نقفي ذلك بذكر ما لكل واحدة منها من الخصائص.

المزايا المشتركة بين هذه البلاد المقدسة

فهذه البلاد كلها مقدسة مطهرة محترمة لها مزايا مشتركة ليست لغيرها فمن ذلك:

أولا: إنها مهابط الوحي ومواضع الأديان والشرائع الإلاهية وسكن خيار أهل الأرض والسماء.

فمكة والمدينة خصهما الله عز وجل بخاتم الأنبياء وأشرف الرسل وسيد ولد آدم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فمكة مسقط رأسه فيها ولد وبها شب وفي ربوعها وبين شعابها قضى صباه وشبابه وبها وبغار حراء بالذات أكرمه الله عز وجل بنزول الوحي لأول مرة ومنها أضاء الله تعالى العالم به وأزال الظلمة بنوره، وبها مكث يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى وعبادته في أنديتهم ومجامعهم وأسواقهم وبها تزوج السيدة الطاهرة مولاتنا خديجة رضي الله تعالى عنها وبها أنجب بناته الطاهرات عليهن السلام وولديه الكريمين عليهما السلام، وبها قضى

مرحلته الأولى مرحلة البلاء ثلاث عشرة سنة في النبوة وأربعين قبلها ومنها هاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فاستقبل بها حياة أخرى.

فكانت المدينة المنورة هي الأخرى مهاجره ومقامه ومستقره الأخير إلى يوم القيامة فهاجر إليها وأقام بها وجاءت مرحلته الثانية الأخيرة يتوارد عليها فيها جبريل الأمين عليه السلام ليل نهار يأتيه بالوحي في حجرات نسائه، وفي مسجده، وفي طريقه، وفي أسفاره وغزواته حتى أتم الله تعالى الدين بأصوله وفروعه وحلاله وحرامه وفرائضه ونوافله وجميع تعاليمه في عشر سنوات كان بعدها انتقاله للرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه.

فهذان الموطنان مكة والمدينة هما مهبط الوحي المحمدي ومصدر الديانة الإسلامية وفيهما وبينهما تم نزول القرآن خاتم الكتب الإلاهية والمهيمن عليها أما بيت المقدس فهو الآخر مهبط وحي أنبياء بني إسرائيل وموطن خليل الرحمن ومستقره منذ أن هاجر من العراق إليه وهو سكن الأنبياء بداية من جدهم إسحاق وولده يعقوب ثم الأسباط إلى خاتمهم عيسى عليهم السلام جميعاً.

وكان بيت المقدس أول من حظي بنزول بركة الخليل أبي الأنبياء الذي شرف الله تعالى به كل البلاد المقدسة عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فهذه الأراضي الثلاثة مشتركة في فضيلة مهبط الوحي ومصدر الديانات ونزول الكتب الإلاهية والصحف وسكن أشرف خلق الله تعالى من الأنبياء وأصحابهم وأنصارهم وفي بطونها وتخومها جثثهم الطاهرة المقدسة.

ثانيا: مما اشتركت فيه أن الله عز وجل كما أقسم بالبلد الأمين الحرم المكي أقسم كذلك بجبل الطور الذي حظي ببركة مكالمة الله تعالى فيه

موسى عليه الصلاة والسلام فقال تعالى: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ{1} وَطُورِ سِينِينَ{2} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ{3} لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ{4}" سورة التين.

فطور سنين هو جبل الطور الآتي ذكره لاحقاً إن شاء الله تعالى والبلد الأمين هو الحرم المكي المبارك وقال تعالى في كل منهما بمفرده ففي مكة المكرمة: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ{1} وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ{2}" سورة البلد، أي أحلف بهذا البلد الحرم المكي والحالة هذه وأنت يا نبي حل به أي حلال أو ساكن به.

وقال في الطور: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالطُّورِ{ 1} وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ{2}" أي وأحلف بجبل الطور الخ.. وإنما حلف الله تعالى بهما لما لهما من القداسة وما حصل عندهما من البركات الإلاهية والخيرات والرحمات.

ثالثا: من مزاياها المشتركة أيضاً أن الله عز وجل خصها بمشروعية شد الرحال إلى الصلاة في مساجدها حيث قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام، ومسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ومسجد الأقصى". رواه أحمد 278/2 والبخاري في التطوع 307/306/3 وفي الحج ومسلم في الحج 168/167/9 من حديث أبي هريرة.

فهذه خصوصية لهذه المساجد الثلاثة فلا يجوز السفر إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه المساجد لما لها من المزايا الخاصة بها.

رابعا: خصها الله عز وجل بتضعيف الصلاة فيها دون غيرها من سائر مساجد الدنيا فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة

فيما سواه إلا المسجد الحرام". رواه أحمد 499/239/2 والبخاري في التطوع 309/308/3 ومسلم في الحج 163/9 وأهل السنن، وفي رواية لابن الزبير رضي الله تعالى عنهما عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة ألف صلاة". رواه أحمد 5/4 وابن حبان 599/4 بسند صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة". رواه ابن خزيمة في صحيحه والطبراني في الكبير والبزار قال في مجمع الزوائد رجاله ثقات وفي بعضهم كلام وهو حديث حسن وكذا حسنه المنذري في الترغيب والترهيب.

فهذا الفضل في تضعيف الصلاة لهذه الدرجة لا يوجد في غير هذه المساجد وهذا التضعيف نص في الصلاة واختلف العلماء في غيرها من الأعمال هل لها هذا الفضل أم لا فذهب البعض إلى خصوصية الصلاة وذهب آخرون إلى قياس جميع الأعمال عليها فمن صام مثلا يوماً أو رمضان بأحد هذه المساجد كان له ذلك بما جاء في فضل الصلاة وهكذا الصدقة والتلاوة والذكر قالوا إن كل ذلك يضاعف بمكة بمائة ألف، وبالمدينة المنورة بألف وبالمسجد الأقصى بخمسمائة أو ألف كما جاء في رواية. وفضل الله تعالى واسع.

خامساً: إن الله عز وجل جعل كلا من مكة المكرمة وبيت المقدس قبلة للمسلمين في صلواتهم، فكانت صخرة بيت المقدس قبلة الأنبياء في غابر الزمان منذ نزل به الخليل عليه السلام.

وقد شاركهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيها فبعدما هاجر إلى المدينة أمر باستقبالها فصلى إليها ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حولت إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة وفي هذا الصدد يقول الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" سورة البقرة الآية 144.

ثم كانت الكعبة المكرمة هي القبلة الشرعية الدائمة الخالدة إلى يوم انقراض المسلمين من الأرض وتهديم الحبشة إياها.

سادساً: كل هذه البقاع الثلاثة حرم حرمه الله تعالى يجب على كل مسلم تعظيمها واحترامها وتقديسها وتنزيهها عما لا يليق بها.

هذا ما ظهر لنا الآن من المزايا والفضائل التي اشتركت فيها هذه البقاع المقدسة وقد يوجد غير هذا لمن تتبع الموضوع كاملا فإنه وارد في المدينة والبركة فإنها واردة في الدينة وفي الشام وبيت المقدس كما يأتي.

فضائلــها انفـــرادا

مكة المكرمة

أما فضائل هذه البلاد المقدسة وما اختصت به كل منها عن الأخرى فذلك كثير أيضا.

أما مكة المكرمة وهي أشرف هذه البقاع وأفضلها على الإطلاق وأحبها إلى الله تعالى فقد أشاد الله تعالى بها في القرآن الكريم ومدحها وبركها وجعلها دار الحج والعمرة يهرع إليها كل سنة وحين آلاف الألوف والجموع العرمرمة من المؤمنين لزيارتها والطواف ببيتها العتيق الذي لا أشرف منه في هذه الأرض إلا أن تكون البقعة التي ضمت جثة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإلى القارئ فضائل هذه البقعة الطاهرة:

أولا: إن الله تعالى حرمه يوم خلق السماوات والأرض للأحاديث التالية:

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يوم فتح مكة: "إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لا يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار لا يُعْضَدُ شَوْكُه، ولا يُنَفَّرُ صيده، ولا يَلْتَقِطُ لقطتَه إلا من عرَّفَها، ولا يُخْتَلى خلاها" قال العباس: يا رسول الله إلا الإِذْخِر فإنه لِقَيْنِهم ولبيوتهم، قال: "إلا الإذخر". رواه أحمد 315/259/1 والبخاري 420/418/4 ومسلم 124/123/9 كلاهما في الحج.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن الله حبس الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها أحلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد

بعدي، فلا ينفر صيدها، ولا يختلى شوكُها، ولا تحل ساقطتُها إلا لمنشد". رواه البخاري في العلم 216/1 وفي الحج 129/128/9.

وعن أبي شريح رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيها فقلوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس". رواه أحمد 385/6 والبخاري 416/413/4 ومسلم 128/127/9 كلاهما في الحج أيضاً.

قوله: "لا يُعْضَدُ" أي لا يقطع، وقوله: "لا يُنفر صيدُه" أي لا يزعج، وقوله: "ولا يختلى خلاه" أي لا يقطع نباته الرطب، وقوله: "إلا الإذخر" هو نبات طيب الرائحة كانوا يستعملونه في سقف بيوتهم وفي حدادتهم، وقوله: "حبس عن مكة الفيل" معناه منع فيل أبرهة الأشرم الذي غزا مكة المكرمة من استحلال الحرم وهدم الكعبة، وقوله: "وسلط عليها رسوله" بمعنى أذن له وللمؤمنين أن يقاتلوا فيها عند فتحها.

وفي هذه الأحاديث بيان ما لمكة المكرمة من العظمة والقداسة والحرمة والفضل وأن الله عز وجل حرمها يوم أنشأ وأوجد هذه الأجرام من السماء والأرض قبل أن يكون أي حي من هذه الأحياء الإنسية والجنية... وأن لا يجوز في حرمها سفك أي دم ابتداء من غير دفاع، ولا قطع أي شجرة منه أو نبات ولا إزعاج أي صيد حلال فضلا عن قتله وهذا بخلاف ما أبيح فيه قتله من الفواسق كما أن لقطته لا يحل أخذها ولا رفعها إلا لمعرفها.... وهذه خصائص لهذا البلد الأمين.

ومع هذه القداسة لهذه البقعة الطيبة لم يحترمها الناس حتى المسلمون منهم، وقد جاء في الحديث الصحيح عن سيد السادات صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما معناه: أن أهلها هم الذين يستحلونها، فإن استحلوها فلا تسأل عن هلكة العرب أو كما قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وهذا هو واقعنا فإن سكان الحرم الشريف لا يعطونه أي قيمة ولا يعيرونه أي احترام لائق به وهكذا زواره الآفاقيون أكثرهم ينتهكون حرمته ولا ينزهونه عما لا يليق به ولذلك أهلك الله تعالى العرب وسلط عليهم أعداءهم وجعل بأسهم بينهم شديداً نسأل الله تعالى اللطف والعفو.

ثانيا: إن هذا الحرم الأمين أحب البقاع إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وخير أراضي الدنيا.

فعن عبد الله بن عدي رضي الله تعالى عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واقفاً على الحَزْوَرَةِ فقال: "والله إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ الله وأَحَبُّ أَرْضِ الله إلى الله ولَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنكِ ما خَرَجْتُ". رواه أحمد 305/4 والترمذي 3689 بتهذيبي في المناقب وابن ماجه 3108 وابن حبان 1025 بسند صحيح وحسنه الترمذي وصححه.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لمكة: "ما أَطْيَبَكِ من بلد وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك". رواه الترمذي أيضاً 3690 وابن حبان 1036 وحسنه الترمذي وصححه.

"الحزورة" بفتح الحاء وسكون الزاي ثم واو وراء مفتحتين كان في القديم سوقاً بمكة ثم أدخل في توسعة المسجد.

فالحديثان يدلان على أن مكة المكـرمة بلــدة طيبــة وأحــب البقــاع إلــى الله تعــالى

وإلى رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وخير أرض الله على الإطلاق.

وقوله: "لولا أن قومي أخرجوني" معناه تسببوا في خروجه بما كانوا يضايقونه من أنواع الإذايات وهموا في الأخير بقتله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ثالثا: اختص ببيت الله الحرام الكعبة المشرفة وأنه أول بيت بني وأسس في الأرض لعبادة الله تعالى كما قدمنا واحتوى على آيات بينات كالحجر الأسود والمقام وزمزم وجعل أعظمَ شعائر الحج والعمرة فلا حج ولا عمرة إلا بالطواف به سبعة أشواط في جميع أنواع الأطوفة طواف القدوم، وطواف الإفاضة، وطواف الوداع، وطواف النافلة.

رابعاً: جعله الله تعالى حرماً آمنا لا يتعرض فيه لأحد أيا كان إلا من كان في ذمته حد لله تعالى أو جناية.

وقد ذكر الله تعالى أمنه للناس في سور من القرآن الكريم:

أولا في قوله تعالى: "وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً" سورة آل عمران الآية 97، ثانيا في قوله عز وجل: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ" سورة العنكبوت الآية 67.

فلفت سبحانه أنظار سكانه أيام النبوة إلى التفكر في حالتهم مع حالة غيرهم من القبائل المجاورة لهم حيث إنها تتقاتل وتتناحر فيما بينها ويسبي بعضها بعضاً وسكان الحرام في أمن وأمان لا يتعرض لهم ولا لمن كان بينهم أحد بل كانوا معظمين من طرف جميع القبائل العربية محترمين مكرمين مقدسين لأنهم أهل حرم الله تعالى وسدنة بيته.

ثالثا في قوله تعالى: "أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" سورة القصص الآية 57.

في الآية الكريمة امتنان من الله عز وجل على سكان الحرم بأن جعل لهم الحرم سكنا لهم ومكنه لهم مع الأمن والطمأنينة وجلب الأرزاق والثمار من عنده تعالى تأتيهم من جميع الأقطار والآفاق والحالة هذه وهم كفار فكيف إذا آمنوا ولكن أكثرهم في غفلة عن كل ذلك وجهل بنعم الله عز وجل.

رابعاً في قوله تعالى: "فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{ 3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ{4}" سورة قريش.

ففي الآية الكريمة أمره تعالى قريشاً بعبادة رب البيت الذي يتشرفون به فهو وحده الذي يستحق العبادة والتذلل والخضوع لأنه الذي هيأ لهم طريق أسباب العيش بالرحلتين إلى اليمن في الشتاء وإلى الشام في الصيف لأجل التجارة فأطعمهم بذلك من الجوع كما جعل لهم بلدتهم مأمونة من المخاوف التي كان يتعرض لها غيرهم من القبائل وستأتي آيتان في سؤال الخليل الله عز وجل أن يجعله بلدا آمناً: "رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ" سورة البقرة الآية 126، الثانية قوله جل علاه: "رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ" سورة إبراهيم الآية 35.

والمقصود أن الحرم المكي الشريف خصه الله تعالى بهذه الخصيصة وهو الأمن والاستقرار ونوه الله تعالى بذلك في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

خامساً: إن الله تعالى جعله مقصوداً لأداء فريضة الحج وجعل سبحانه جميع مشاعر الحج في حرمه الشريف وعرفة بجواره.

فالصفا والمروة من شعائر الله تعالى والطواف بينهما والوقوف عليهما من واجبات الحج والعمرة وهما بجانب البيت والمزدلفة والمشعر الحرام هما الآخران داخل الحرم والمبيت بهما والنزول عندهما ليلة النحر من مناسك الحج وواجباته أيضا ورمي الجمار الثلاث والمبيت بمنى هما أيضاً من تتمات الحج وكل ذلك داخل الحرم الشريف فهذه كلها خصائص الحرم المكي لا تشاركه فيها بلدة ولا أرض أيا كانت.

سادساً انفراد البيت بالاستقبال في الصلاة فلا قبلة للمسلمين سواه فاستقباله شرط لصحة الصلاة فمن لم يستقبله اختياراً لا صلاة له ومن استقبل غيره وتركه لم يكن من المسلمين ففي الصحيح عنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم الذي له ذمـــة الله ورسولـــه

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم".

فالكعبة المشرفة قبلة لجميع مسلمي العالم شرقاً كانوا أم غرباً جنوبا أم شمالا، قال الله تعالى: "وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" سورة البقرة الآية 144، أي جهته.

فمن كان داخل المسجد يرى الكعبة وجب عليه استقبال عينها وإن كان خارجه يتوجه لجهتها فإن كان خارج مكة المكرمة يتجه لجهة مكة: "وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ" سورة البقرة الآية 115.

فنحن مأمورون بالسجود لله تعالى لا إلى غيره من الكائنات: "لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" سورة فصلة الآية 37.

نعم جعل الله تعالى السجود للكعبة رمزاً للوحدة وأن الجميع عبيد لله وخلق وملك له سبحانه ولسنا نسجد للكعبة عبادة لها بل من اعتقد ذلك كان كعابد الأصنام عياذا بالله عز وجل.

سابعاً إن الله عز وجل كرمه فجعل الهم بالمعصية فيه إلحاداً وميلا عن الدين كما قال تعالى: "وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ" سورة الحج الآية 25.

وهذا مما اختص به الحرم المكي فالهم بالمعصية في غيره معفو عنه ومغفور لصاحبه ولكنه في الحرم المكي الشريف يؤخذ به.

ثامناً انتقام الله تعالى ممن يريد انتهاك حرمته بالقتال فيه أو تهديمه أو نحو ذلك ولا أدل على ذلك من قصة أصحاب الفيل الذين خلد الله تعالى ذكر إهلاكهم واستئصالهم في كتابه الكريم يتلى على ممر العصور والأجيال ونزلت فيهم سورة تحمل اسم أصحاب الفيل قال الله تعالى: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ{ 1} أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ{2} وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ{3} تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ{4} فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ{5}" سورة الفيل.

فهؤلاء قوم أتوا من اليمن برياسة أبرهة الأشرم في جيش عرمرم معهم فيلة يقدمها فيل عظيم وقصدوا بيت الله الحرام ليهدموه انتقاماً ممن اعتدى على بيت لهم في اليمن من بعض العرب ولطخه بالعذرة فلما وصلوا للحرم الشريف وحاولوا تهديمه بفيلهم الكبير امتنع الفيل مما يريدون به وبعث الله إليهم طيوراً كالخطاطيف جاءت من جهة جدة كل واحد منها يحمل ثلاثة أحجار حجرين في رجليه وحجراً في منقاره فقتلوا ذلك الجيش عن آخره وجعلهم سبحانه وتعالى كما قال: "كَعَصْفٍ

مَّأْكُولٍ" والعصف المأكول هو ورق الشجر الذي عصفت به الريح وأكلته الدواب ثم راثته فأهلكهم الله عز وجل عن بكرة أبيهم.

وعن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "يَغْزُو جيشٌ الكعبةَ فإذا كانوا بِبَيْداء مِن الأرض خُسِف بأولهم وآخرهم" فقلت: يا رسول الله كيف يُخسفُ بأولهم وآخرهم وفيهم أسْواقُهم ومن ليس منهم؟ قال: "يُخْسَفُ بأولهم وآخرهم ثم يُبْعثون على نياتهم". رواه البخاري في البيوع 243/242/5 وكذا في الحج وروى نحوه النسائي عن أبي هريرة.

فالحديث يدل على أنه سيؤم جيش في عصر من العصور البيت بقصد غزوه وغزو أهله فيخسف الله تعالى ويزلزل بهم الأرض ويغيبهم في تخومها انتصاراً لحرمه وحماية له من مكر الملحدين وهكذا سينتقم الله عز وجل لبيته ممن يريد انتهاكه فإذا انقرض المسلمون ولم يبق من يحجه ويستقبله عندئذ سيغزوه جيش من الحبشة ويخربونه كما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "يُخْرِبُ الكعبة ذو السُّوَيْقَتَيْنِ من الحبشة". رواه البخاري في الحج 207/199/4 ومسلم في الفتن 36/35/18 وغيرهما.

السويقتين" تثنية سويق مصغر ساق وعبر عنه بذلك لأن أسوق الحبشة رقيقة جلدة على عظم.

تاسعاً اختص بأفضل وأخص الخصائص، وأشرف المزايا وهو أنه مسقط رأس خير البريه وميلاد سيد ولد آدم عليه من الله أفضل الصلاة والسلام فلقد ولد بمكة المكرمة بدار والدته آمنة التي كانت تسكنها وهي قريبة من البيت لا يزال موضع مولده يحمل اسم ميلاد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على الرغم من المؤامرات الكثيرة التي تدبر وتحاك

لإخفائه كما أخفيت غيره من المآثر وبمكة المكرمة نشأ وتربى وترعرع وشب وبغار حراء المسمى جبل النور وهو من الحرم الشريف أكرمه الله عز وجل بالوحي والرسالة كما قدمنا فهو صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ابن مكة كما يقال عنه.

وهذه فضيلة امتازت بها مكة المكرمة لا مثيل لها ولا شيء أفضل منها.

عاشراً امتاز الحرم الشريف المكي بدعوات الخليل عليه السلام التي دعا بها عند بنائه الكعبة وبعدها قال الله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ{126} وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ{ 127} رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ{ 128} رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ{129}" سورة البقرة.

وقال جل علاه: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ{35} رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ{ 36} رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ{ 37} رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء{38} الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء{ 39} رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ

دُعَاء{40} رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ{ 41}" سورة إبراهيم.

فهذه أدعية كثيرة عظيمة جامعة دعا بها الخليل بمكة المكرمة عمت أهله وبنيه وكل من جاء بعدهم من المؤمنين والمؤمنات وكذا الكافرون في الرزق والثمار، فقد اشتملت هذه الأدعية على نحو من ثلاثة عشر مطلباً وهي أن [1] يكون البلد –مكة المكرمة- آمناً كما تقدم، وأن [2] يرزق أهله من الثمرات وخص بذلك من آمن بالله واليوم الآخر فلقنه الله تعالى: وكذا من كفر فأمتعه في الدنيا قليلا ثم ألجئه إلى النار، وطلب [3] قبول ما أسسه وولده من البيت، وأن [4] يجعله وولده إسماعيل عليهما السلام مسلمين له، وأن [5] يجعل في ذريته أمة مسلمة، وأن [6] يريه مناسك الحج، وأن [7] يتوب عليهما، وأن [8] يبعث في أمة بنيه رسولا يتلو عليهم آيات الخ وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الذي قال فيه: "أنا دعوة أبي إبراهيم"، وأن [9] يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، وأن [10] يجعل قلوباً من ناس تهوى إلى سكان الحرم، وأن [11] يجعله وذريته مقيمين الصلاة، وأن [12] يتقبل دعاءه، وأن [13] يغفر له ولوالديه والمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب.

وسيأتي دعاؤه بالبركة مع أهل مكة في فضائل المدينة إن شاء الله تعالى، فهذه الأدعية من خصائص الحرم المكي ولنكتف بهذه المزايا لحرم الله المكي ولنتابع المسيرة في الباقي.

المدينة المنورة

المدينة المنورة تبعد عن مكة المكرمة شمالا بأربعمائة وعشرين كيلو ونيف، وكان أول من عمرها وسكنها اليهود بعد محنتهم وتشريدهم على يد الجبار بُخْتُنَصَّر وكانوا ثلاث بيوتات: قينقاع، والنضير، وقريظة. ومع تطاول الزمان كثروا وأصبحوا ذوي عدد وقوة ومال ثم جاء من اليمن بيتان أولاد العم الأوس والخزرج فنزلوا بضواحي المدينة ومع ممر الأجيال والعصور وتكاثر العرب أيضاً جعلوا يتقاتلون مع اليهود الذين كانوا سكان المدينة فانتصروا عليهم وأخرجوهم من المدينة إلى ضواحيها وهكذا بقيت الحروب بينهم وانقسم كل من العرب واليهود لما كان بينهم من المصاهرة والمحالفة حتى جاء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهم على ذلك.

هاجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى المدينة وآواه من كان أسلم من الأوس والخزرج إليهم وأيدوه ونصروه وقدموا أرواحهم وأنفقوا أموالهم في سبيل نصرته ونصرة دينه وتتابع مسلموا مكة هجرتهم إليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى لم يبق بمكة إلا المستضعفون فأصبحوا في دار الغربة وجعلوا يحنون إلى بلادهم ومسقط رءوسهم مكة المكرمة فاقتضت حكمة الله تعالى أن يحبب إليهم دار هجرتهم فأشاد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بذكر فضائلها وخصائصها وفضل الإقامة بها والموت في ربوعها وذكر ما اختصت به عن غيرها حتى عن مكة المكرمة، وهذا بعض ما جاء فيها:

دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع المدينة
وفي صاعها ومدها وأن يحببها الله تعالى إلى رسوله
والمهاجرين كحبهم مكة أو أكثر

عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة". رواه البخاري في البيوع ومسلم في الحج 135/134/9.

وعن مولاتنا عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال قالت: فدخلت عليهما فقلت: يا أبت كيف تَجِدُكَ؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول: كل امرئ مُصَبَّحُ في أهله، والموتُ أدْنى مِن شراكِ نَعْلِهِ، وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليتَ شِعْري هل أبيتَن ليلةً،،،بوادٍ وحوْلي إذْخِرٌ وجَلِيلُ

وهل أَرِيدَنَّ يوماً مَياهَ مِجَنَّةٍ،،،وهل يَبْدُو لي شَامَةٌ وطَفِيلُ

قالت عائشة فجئت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأخبرتُه فقال: "اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحُبِّنَا مكة أو أشد، اللهم صححها وبارك لنا في مدها وصاعها وأنقل حماها فاجعلها في الجحفة". رواه البخاري في فضائل المدينة وفي المناقب وغيرهما ومسلم في الحج رقم 1376.

"مجنة" سوق من أسواق العرب بضواحي مكة و"شامة وطفيل" جبلان بنواحي مكة أيضا.

وعن الإمام علي رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حتى إذا كنا بحرة سُّقيا فقال رسول الله صلى الله

تعالى عليه وآله وسلم: "إيتوني بوَضوء" فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال: "اللهم إن إبراهيم كان عبدَك وخليلَك ودعا لأهل مكة بالبركة، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثلي ما باركت لأهل مكة مع البركة بركتين". رواه الترمذي في المناقب وحسنه وصححه.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة المكرمة". رواه البخاري في الاعتصام وفي البيوع وغيرهما ومسلم في الحج وباب فضل المدينة رقم 1368 وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وكلاهما في الصحيح.

وفي هذه الأحاديث دليل على أن بالمدينة المنورة البركة مضاعفة على مكة المكرمة وذلك بدعاء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معها وفي صاعها ومدها ودعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مستجاب قطعاً والواقع أكبر شاهد على ذلك ففي المدينة من الخير والبركة في الأطعمة وغيرها ما ليس بمكة المكرمة وذلك يدل على فضلها وفضل سكانها وفضل أهلها وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "مثلي ما باركت" وقوله: "ضعفي ما جعلت بمكة من البركة" قد يؤخذ منهما تفضيل المدينة على مكة المكرمة كما هو مذهب مالك وجماعة من أهل العلم.

حفظ المدينة وحراستها

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخُلها الطاعون ولا الدجال". رواه البخاري في الحج 467/4 وفي الطب 295/12.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نَقَبٌ إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها". رواه البخاري في الحج 467/4 ومسلم آخر الفتن 85/18.

وعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "لايدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان". رواه البخاري في الحج أيضاً 467/4.

قوله: "نَقَبٌ" بفتحتين وهو المدخل والطريق بين الجبلين فأنقاب المدينة هي طرقها وقوله في حديث أبي بكرة: "لها يومئذ سبعة أبواب" أي سبعة طرق ونوافذ تصل إليها.

وفي هذه الأحاديث فضل عظيم للمدينة كمكة وأنهما محروستان من الدجال والطاعون وقد جاء في حديث آخر: المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة عن كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون. عزاه الحافظ في الفتح 300/12 لعمر بن شبة وقال رجاله رجال الصحيح.

فالدجال أَمْرُهُ معروف والأحاديث بخروجه متواترة وأنه سيطوف جميع المعمروة غير مكة والمدينة خصيصة لهما أما الطاعون فالمراد به هجوم جيوش من الجن على موضع وإصابتهم الناس وقتلهم وهو شهادة لكل مسلم صابر لم يفر منه.

وعيد من أراد أهل المدينة بسوء أو أحدث فيها أو آوى محدثا

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب

الرصاص أو ذوب الملح". رواه مسلم آخر الحج 138/137/9.

وعن الإمام علي رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "المدينة حرم ما بين عِير إلى ثَوْر، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى مُحْدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا". رواه مسلم في الحج 142/141/9 وكذا البخاري في فضائل المدينة من المناقب وفي الاعتصام وغيرهما مطولا ورواه مسلم عن أبي هريرة أيضاً.

وقوله: "عير" هو جبل قريب من ذي الحليفة، و"ثور" هو جبل أيضا وراء جبل أحد لجهة الشام وهما حدود الحرم من جانبي الجنوب والشمال ويأتي الكلام على حرم المدينة لاحقاً إن شاء الله تعالى.

وفي الحديثين وعيد شديد لمن آذى أهل المدينة وسكانها أو أساء إليهم وأن مآله سيكون عياذاً بالله النار وسيذوب فيها ذوبان الملح في الماء أو الرصاص في النار فيا ويل من حاربهم وغزاهم من الأمم عبر العصور بداية من وقعة الحرة التي كان هاجمهم وقاتلهم عندها أهل الشام أيام يزيد بن معاوية، كما أن كل من أحدث فيها حدثاً من بدعة أو فجور أو فساد أو ضم إليه محدثاً وهو فاعل الحدث فهو ملعون بلعنة الله والملائكة والناس وذلك منتهى ما يمكن أن يجازى به أي مجرم في الدنيا مع عذاب الآخرة يضاف إلى ذلك أن الله عز وجل لا يقبل منه لا فرضاً ولا نفلاً وذلك يدل على عظم الجريمة.

المدينة حرم آمن

عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه سئل أحرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المدينة؟ قال: نعم ما بين كذا إلى كذا فذكر الحديث وفي آخره: فلما أشرف صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على المدينة قال: "اللهم

إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم مكة اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم".

رواه البخاري في فضائل المدينة وفي الاعتصام ومسلم آخر الحج 1365 فما بعده.

وعن جابر بن عبد الله ري الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يُقطعُ عِضَاهُهَا، ولا يُصاد صيدُها". رواه مسلم في الحج رقم 1362.

وعن سهل بن حُنَيْف رضي الله تعالى عنه قال: أهوى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بيده إلى المدينة وقال: "إنها حرم آمن". رواه مسلم أيضا 1375 في الحج.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: لو رأيت الظباء ترتع بالمدينة ما ذعرتها، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "ما بين لابتيها حرام" قال: وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حمى. رواه البخاري ومسلم 1372 كلاهما في الحج.

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص أن سعداً رضي الله تعالى عنه ركب إلى قصره بالعقيق فوجد عبداً يقطع شجراً أو يخبطه فسلبه فلما رجع سعد جاءه أهل العبد فكلموه أن يرد على غلامهم أو عليهم ما أخذ من غلامهم فقال: معاذ الله أن أرد شيئاً نقَّلَنيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأبى أن يرد عليهم. وفي رواية: أنه وجد عبيداً من عبيد المدينة يقطعون من شجر المدينة فأخذ متاعهم وقال لمواليهم سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينهى أن يقطع من شجر المدينة شيء وقال: "من قطع منه شيئاً فلمن أخذه سَلَبه". رواه مسلم بالرواية الأولى

في الحج 1364 وأبو داود 2038 بالرواية الثانية وفي الباب عن جماعة غير ما ذكرنا.

وقوله: "لابتيها" تثنية لابة وهي الحرة فالمدينة جاءت بين حرتين وهي حجارة سود غربيب حرة شرقية، وحرة غربية هذا من جهتي الشرق والغرب وما بين عير وثور جنوباً وشمالاً وذلك بريد في بريد كما هو معروف.

فهذه الأماكن كلها حرم للمدينة الحبيبة حرمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإذن الله تعالى كما حرم إبراهيم عليه الصلاة والسلام مكة المكرمة وضواحيها فكل ما يعطى لحرم مكة يعطى لحرم المدينة وزيد في حرم المدينة أخذ ما مع من قطع شجراً أو اصطاد مثلا منها.

وحديث سهل بن حنيف يدل على أن حرم المدينة آمن كمكة المكرمة فيضاف هذا إلى ما اشترك فيه الحرمان وكل ذلك يدل على فضل هذه المدينة المقدسة فيا خسارة من يحرم نفسه من زيارتها وزيارة مشهد صاحبها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فإنه هناك من المحرومين الذين طمس الله قلوبهم وختم عليها من يمنع زيارة المدينة فضلا عن القبر الشريف فهذا والعياذ بالله نهاية الحرمان والخسران وقد يكون مآله كذلك إن شاء الله تعالى إن لم يتداركه الله عز وجل بلطفه وعفوه.

المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون

عن سفيان بن أبي زهير رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "تُفْتَحُ الشام فيخرُج من المدينة قومٌ بأهليهم يَيُسُّون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يُفتح اليمن فيخرج من المدينة قوم بأهليهم ييسُّون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، ثم يفتح

العراقُ فيخرج من المدينة قومٌ بأهليهم يَيُسُّون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون". رواه أحمد 220/5 والبخاري 463/4 ومسلم 159/158/9 كلاهما آخر الحج.

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "يأتي على الناس زمانٌ يَدعُو الرجلُ ابن عمِّه وقريبه هَلمَّ إلى الرَّخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، والذي نفسي بيده لا يَخرجُ منهم أحدٌ رغبةً عنها إلا أخلف الله تعالى فيها خيراً منه، ألا إنّ المدينة كالكير تُخْرجُ الخَبيثَ، لا تقوم الساعةُ حتى تَنْفِيَ المدينةُ شِرارَها كما يَنفي الكيرُ خَبَثَ الحديد". رواه مسلم في الحج 153/9.

قوله: "ييسون" بفتح الياء وكسر الياء وضمها أي يزجرون إبلهم خارجين من المدينة ذاهبين إلى تلك البلاد التي فيها السَّعةُ والعَيْشُ الرَّغَد.

وفي الحديثين فضل سكنى المدينة المنورة وأنها خير وأفضل لمن يخرجون منها من غيرها من البلاد لو كان الناس يعلمون حقيقة الأمر، وكيف وفي سكانها مجاورة الحبيب الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وزوجه وصحبه فلا يخرج منها رغبة عنها بقصد التوسُّع في الحياة وترفيه النفس إلا محرومٌ، ويُخْشَى عليه أن يكون من الخُبثاء الذين تَطْرُدُهم المدينة عنها.

وفي الحديثين معجزة ظاهرة للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعَلَم من أعلام نبوته حيث أخبر صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بفتح هذه الأقاليم اليمن والعراق والشام وقد كانت أيام النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم غير مفتوحة إلا أطرافاً من اليمن أما العراق فكانت

تحت نفوذ العجم والشام تحت حكم الروم فصدق الله تعالى ما أخبر به ووقع كما قال ففتح كلُّ ذلك أيامَ الصديق والفاروق رضي الله تعالى عنهمـــا فهاجر كثير من الصحابة من المدينة وسكنوا هذه البـــلاد وغيرها فراراً من الفاقة والضيق.

الصبر على شدتها يوجب شفاعة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم

عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "من صَبَرَ على شِدَّتِهَا ولَأْوَائِها كُنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة". رواه أحمد 155/3 ومسلم 152/9 في الحج والترمذي في المناقب 3688.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "من استطاع أن يَموتَ بالمدينة فليمُتْ فإني أشفعُ لِمن يَموتُ بها". رواه أحمد 104/74/2 والترمذي 3682 وابن ماجه 3112 وابن حبان 1031 بسند صحيح على شرط الشيخين عند الترمذي.

قوله: "لأوائها" هو معنى شدتها.

في الحديثين فضل الصبر على شدة المدينة جوها وحرها وقلة ذات اليد بها والفقر والجوع اكتفاء بالحصول على أجر مجاورة الحبيب صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأن من جاهد نفسه على ذلك وحبسها كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شهيداً له أو شفيعاً يوم القيامة شفاعة خاصة بإذن الله عز وجل.

كما أن في الحديث الثاني فضل الموت بها وأن من مات بها سواء كان من سكانها أو من زوارها والطارئين عليها ستحل له شفاعة النبي صلى

الله تعالى عليه وآله وسلم علماً بأنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم له شفاعات كثيرة حتى للأتقياء وسكان الجنة فليعلم ذلك.

الإيمان يجتمع إلى المدينة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إنَّ الإيمان ليأرِزُ إلى المدينة كما تأرزُ الحيةُ إلى جُحْرِها". رواه البخاري في الحج 465/4 ومسلم في الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا الخ 176/2.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وهو يأرز بين المسجديـــن

كما تأرز الحية في جحرها". رواه مسلم بهذا السياق بين المسجدين 176/2.

وقوله: "يأرز" بياء بعدها همزة ساكنة ثم راء مكسورة وتضم ومعناه ينضم ويجتمع، وقوله: "في جحرها" بضم الجيم وسكون الحاء أي مقر سكناها، ومعنى انضمام الإيمان واجتماعه إلى المدينة أو إلى مسجدها ومسجد مكة أن هذين الحرمين الشريفين كما ابتدأ الإيمان فيهما في آحاد الناس غريبا وكانا المصدرين الأولين له ولأهله كذلك سيكون عند غربة الإسلام سيجتمع إلى الحرمين الشريفين كل من حظي بسكناهما من المؤمنين الصادقين.

وقد يكون معناه أن الحرمين مأوى للإيمان وأهله في كل زمان يأتي إليها أهل الإيمان حاجين ومعتمرين وزائرين وأنهما لا يخلوان من الإيمان وأهله وإن ذهبا وتغربا في غيرهما والله تعالى أعلم.

أما القاضي عياض ونقله عنه النووي فقال: "وهو يأرز إلى المدينة" إن الإيمان أولا وآخراً بهذه الصفة لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجراً مستوطناً، وإما متشوقاً إلى رؤية رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومتعلماً منه ومتقرباً ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والاقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر يرحل إليها ثم بعد ذلك في كل وقت لزيارة قبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والتبرك بمشاهده وآثار أصحابه الكرام فلا يأتيها إلا مؤمن. هذا كلام القاضي عياض.

أما الحافظ فقال معلقاً على قوله: "كما تأرز الحية إلى جحرها" أي أنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها، كذلك الإيمان انتشر في المدينة وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيشمل ذلك جميع الأزمنة، لأنه في زمن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للتعلم منه وفي زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم للاقتداء بهديهم، ومن بعد ذلك لزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والصلاة في مسجده والتبرك في مشاهدة آثاره وآثار أصحابه.

الروضة الشريفة

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "ما بَيْنَ بَيْتِي ومِنْبَرِي روضةٌ من رياض الجنة". رواه أحمد 401/2 والبخاري 471/4 ومسلم 162/161/9 كلاهما في الحج والبخاري في مواضع وهو وارد عن جماعة.

الروضة موضع جاء بين موضع منبر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبين بيته الذي أقبر فيه فالصلاة فيه تؤدي إلى الجنـــة، أو هو نفســـه سينقـــل إلـــى

الجنة، أو هو من الجنة وضع هنالك أقول للعلماء.

وهذه خصيصة اختص بها المسجد النبوي الشريف ليست لغيره.

جبل يحبنا ونحبه

عن أنس رضـــي الله تـــعالى عـــنه قال: نظر رســـول الله صـــلى الله تعالـــى عليه

وآله وسلم إلى أحد فقال: "إنَّ أُحُداً جَبَلٌ يُحِبُّنَا ونُحِبُّه". رواه البخاري في مواضع منها الاعتصام وفي الجهاد 424/6 ومسلم في الحج 1393 والترمذي وغيرهم.

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى تبوك وساق الحديث وفيه ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إني مسرع فمن شاء منكم فليسرع، ومن شاء فليمكث" فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال: "هذه طابة، وهذا أحد وهو يحبنا ونحبه". رواه البخاري في الزكاة باب خرص الثمر ومسلم في الحج باب أحد جبل يحبنا ونحبه رقم 1392 وفي الباب عن جماعة.

هذه مزية للمدينة حيث يوجد جبل بضواحيها لجهة الشمال يحب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والنبي يحبه كذلك وهذا من المعجزات وبركات المدينة فالجبل جماد مكون من صخور وحجارات وفيه شعور جعله الله تعالى يحب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا عجب وغرابة في هذا فإن قدرة الله تعالى صالحة لكل شيء وقد أنطق سبحانه جذع النخل وبكى لفراق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجاءته الشجرة تمشي على جذورها وآمنت به وكان الحجر الأسود بمكة المكرمة قبل النبوة يسلم عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وأحد نفسه تحرك به وبأصحابه حتى كلمه وأمره بالهدوء.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال نبي الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان". رواه البخاري في المناقب 58/38/8 وأبو داود 4651 والترمذي في المناقب 3468 بتهذيبي وهو وارد عن جماعة آخرين وعند بعضهم بدل أحد حراء وبعضها في الصحيح.

فهذا صريح في شعور أحد بوجود النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فوقه في رفقة من أصحابه فتحرك بهم فرحاً وطرباً بوجود هؤلاء الأبرار فوقه وحق له ذلك.

وفي هذا عبرة لموتى القلوب حيث إن الجماد يفرح بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويحبه وهو مجرد صخور والإنسان ذو تمييز وعقل بل وإيمان وقلبه فارغ من الفرح بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والله تعالى يقول: "قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ" سورة يونس الآية 58، ففضل الله ورحمته هما القرآن والإيمان ثم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" سورة الأنبياء الآية 107، "إنما أنا رحمة مهداة بعثت رحمة ولم أبعث لعاناً" صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وشرف وعظم ومجد وكرم.

قبـــــاء

عن سهل بن حُنَيْف رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له أجر عمرة". رواه أحمد 387/3 والنسائي 30/2 وابن ماجه 1412 ورجاله ثقات وجهالة حال محمد بن سليمان الكرماني تنجبر بشاهد له عن أُسَيْد بن ظُهَيْر رضي الله تعالى عنه رواه الترمذي 291 وابن ماجه

1411 والحاكم 487/1 وصححه وحسنه الترمذي وصححه العراقي قي المغني فالحديث حسن صحيح.

وفيه فضل مسجد قباء التاريخي الذي كان أول مسجد أسسه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مقدمه المدينة في هجرته ومكث في قرية بني عمرو بن عوف نحواً من اثني عشر يوماً بنى فيه هذا المسجد الذي قال الله تعالى فيه: "لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ" سورة التوبة الآية 108، فالصلاة فيه تعدل عمرة ولا يوجد مسجد في الدنيا فيه هذه المزية ولذلك كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يزوره كل يوم سبت.

فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً. رواه البخاري في التطوع 311/3 ومسلم في الحج 171/170/9.

وهو يبعد عن المسجد النبوي بنحو خمس كيلو وقد مشينا إليه والحمد لله مرات راجلين وراكبين، وهو من أعظم مزارات المدينة وآثارها ولذلك تجد وفود الزائرين يغشونه ويأتونه للصلاة فيه والتبرك بأثر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وأثر سكانه من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

العقيق والمعرس المبارك

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: إن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أتي وهو في مُعَرَّسِهِ من ذي الحليفة في بطن الوادي فقيل له: إنك ببطحاء مباركة.

قال موسى بن عقبة: وقد أناخ بنا سالم في المناخ من المسجد الذي كان عبد الله ينيخ به يتحرى مُعَرَّسَ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو أسفل من المسجد الذي ببطن الوادي بينه وبين القبلة وسطا من ذلك.

وفي رواية أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أناخ بالبطحاء الذي بذي الحليفة وصلى بها. رواه البخاري في الحج باب قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "العقيق واد مبارك" وفي مواضع ومسلم في الحج باب التعريس بذي الحليفة والصلاة بها 1346 والرواية الأخيرة للنسائي في الحج باب التعريس بذي الحليفة.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال عمر رضي الله تعالى عنه: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وهو بواد العقيق يقول: "أتاني الليلة آت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة". رواه البخاري في الحج باب قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم العقيق واد مبارك، وأبو داود في المناسك 1800.

"المعرس" بضم الميم وفتح العين وفتح الراء المشددة موضع التعريس وهو نزول المسافر آخر الليل للاستراحة والنوم وسمي به موضع بذي الحليفة نزل به النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حجته والعقيق واد معروف بالمدينة المنورة يأتي من جهة ذي الحليفة وهو موقت أهل المدينة ومن مر عليهم بقصد الحج والعمرة ومنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحرم في عمره وحجته وفي حجة الوداع خرج من المدينة بعد صلاة الظهر وصلى العصر بذي الحليفة وبات بها وكان قد أحرم بالإفراد فرآى في منامه كأن آتٍ أتاه فقال له: إنك ببطحاء مباركة وصل في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة فأصبح فلما استوت به

ناقته قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "لبيك بعمرة في حجة" فكان قارنا. روى هذا أكثر من خمسة عشر صحابياً.

وفي الحديث بيان بركة هذا الموضع وأن الصلاة فيه مطلوبة سواء فيهما الفريضة أم النافلة وفي فعل عبد الله بن عمر وولده سالم رضي الله تعالى عنهم ما يدل على جواز التبرك بآثار النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالصلاة في الموضع الذي صلى فيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أو التعريس والنوم في معرسه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يزل هذا دأب المسلمين عبر الأجيال ولم يروا ذلك من الشرك أو من ذرائعه بل ذلك يعد من تمام محبته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قبـــــره الشريف

عن سالم بن عُبيدٍ وكانت له صحبة رضي الله تعالى عنه قال: قال الصحابة لأبي بكر رضي الله تعالى عنهم: يا صاحب رسول الله يُدفن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: نعم، قالوا: أين؟ قال: في المكان الذي قبض الله تعالى فيه روحه، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. رواه الترمذي في الشمائل 378 مطولا وابن ماجه في الصلاة 1234 مختصراً والطبراني في الكبير 3667 مطولا وسنده صحيح.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم شيئاً ما نسيته قال: "ما قبض الله تعالى نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه، ادفنوه في موضع فراشه. رواه الترمذي في الجامع 903 بتهذيبي وله شواهد انظر مسند أحمد 160/7/1 وابن ماجه 1628 وشمائل الترمذي 371.

وهذه فضائل الفضائل فإذا كان العالم شرف بوجود هذا النبي العظيم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وشرفت مكة المكرمة هي الأولى بولادته ونشأته وسكناه بها ثلاثاً وخمسين سنة فإن المدينة المنورة شرفت به وشرف به أهلها وسكانها والوافدون إليها مدى الزمان منذ حل بها ودخلها إلى يوم القيامة فالمدينة محياه الأخير ومماته ومدفنه ومنها سيقوم يوم يقوم الناس لرب العالمين ولذلك قال جمع من العلماء إن موضع دفنه الذي ضم جثته أفضل بقاع الدنيا والآخرة فهي أفضل وأشرف حتى من الجنة وأخرجوا تلك البقعة الطاهرة من الخلاف الواقع في التفاضل بين مكة والمدينة.

فهذه المزية وهذه الخصيصة فازت وحظيت بها المدينة المنورة الحبيبة وحظي بها الأنصار رضي الله تعالى عنهم.

ولذا طمأنهم وبشرهم عندما أعطى من غنائم حنين المهاجرين وأهل مكة والطلقاء وتركهم فتكلم شبابهم في شأن ذلك فجمعهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكلمهم في ذلك ثم ذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم وما خصهم به من سكناه عندهم وقال لهم بعدما امتن عليهم: "أما ترضون أن يرجع الناس بالإبل والشاء وترجعون برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم" وقال لهم: "المحيا محياكم والممات مماتكم"، فكانت هذه أعظم نعمة عليهم وأعظم بشارة لهم رضي الله تعالى عنهم فكان صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كما قال فيها قضى بقية حياته وبها مات وبين ديارهم وظهورهم أقبر ونوره وبركته وجثته الطيبة الطاهرة عندهم وفي مدينتهم إلى يوم الدين فيا لها من خصيصة ويا له من فضل حظيت به هذه المدينة العزيزة. وبهذا تنتهي فضائل المدينة.

فضل الشام وبيت المقدس

الشام كانت في القديم تشمل ما يسمى اليوم بفلسطين والأردن وسوريا ولبنان فهذه هي بلاد الشام الوارد ذكر فضلها في القرآن الكريم والسنة المشرفة لكن أعداء الإسلام المستعمرين لها قسموها وجعلوها دولا عدة من باب قاعدتهم فرِّقْ تَسُدْ.

وكان أول من شرف هذه البلاد وبركها خليل الرحمن عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فهو أول من هاجر إليها هو وزوجته سارة وابن أخيه نبي الله لوط عليه السلام فنزلوا بيت المقدس وبه استقروا وبه جاءت البشرى للخليل عليه السلام بإسماعيل أولا كما قال تعالى: "فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" سورة الصافات الآية 101، ثم جاءته البشرى مرة ثانية بإسحاق ثم يعقوب نافلة قال تعالى: "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً" سورة الأنبياء الآية 72، وقال: "فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ" سورة هود الآية 71، وقال: "وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا" سورة الأنعام الآية 84، فحمد الله عز وجل على ذلك، فقال: "الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاء" سورة إبراهيم الآية 39، وقد تقدم كل ذلك سابقاً فكل ما وقع من البركات والخير والرحمات في هذه البلاد جاءت من بركة هذا الرجل العظيم شيخ الأنبياء وإمام الحنفاء خليل الله سيدنا إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء والمرسلين

ومن تبعهم بإحسان.

وقد نوه الله عز وجل بهذه البلاد في كتابه الكريم وأشاد بذكرها من أقصاها إلى أدناها مشارقها ومغاربها وتتضح فضائلها في الآتي:

أولا إنها أول البلاد الثلاث نزل بها الوحي فإن خليل الرحمن عليه السلام كان أول مهاجر إلى الله تعالى ونزل بهذه البلدة كما قال تعالى عنه: "وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي" سورة العنكبوت الآية 26.

ثانيا إنها مولد الأنبياء ومسكنهم فأنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام يعدون بعشرات الألوف وكلهم كانوا يعيشون هنالك ولذلك كانت تلك البقاع لا تخلو من جثـتهم وآثارهم.

ومن أكابرهم المشاهير الذين عاشوا هناك وذكرهم القرآن الكريم إسحاق ويعقوب وداود وسليمان ولوط وزكرياء ويحيى ويوشع في آخرين لم يذكرهم الله تعالى.

ثالثا إنها إحدى مهابط الوحي ووجود الديانتين اليهودية والنصرانية ونزول الكتب الثلاثة العظيمة: التوراة والإنجيل والزبور.

رابعاً سماها الله تعالى الأرض المقدسة، قال تعالى إخباراً عن نبيه موسى عليه السلام آمراً بني إسرائيل أن يدخلوها: "ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ" سورة المائدة الآية 21، والمقدسة معناها المطهرة من التقديس وهو التطهير.

ولا شك أنها مطهرة عند الله تعالى حرم آمن معظم محترم مثل مكة والمدينة وتقديسها جاء من شرف الأنبياء ونزول الوحي الإلاهي.

خامساً أخبر الله تعالى عنها وما جاورها أنها أراضي مباركة، كما قال تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ" سورة الإسراء الآية 1، وقال تعالى: "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ" سورة الأنبياء الآية 71، وقال عز وجل: "وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا

الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا" سورة الأعراف الآية 137، فبنو إسرائيل عندما نجاهم الله تعالى من فرعون ودخلوا بيت المقدس جعلها لهم إرثاً بمشارقها ومغاربها التي فيها البركة.

وقال جل ثناؤه في قصة أهل سبأ "وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً" سورة سبأ الآية 18، فالقرى المبارك فيها هي الشام.

وهذه البركة التي جعلت في هذه المناطق تشمل البركة الحسية والمعنوية فالحسية كالخصب والأنهار والمزارع والبساتين وكثرة الأشجار وأنواع الفواكه في جميع هذه البلاد سوريا والأردن وفلسطين ولبنان فهي من هذه الناحية بلاد مباركة والمعنوية لأنها منازل الأنبياء ومساكنهم ومصدر الديانتين ونزول الكتب الإلاهية الكبرى والصحف وهذه البركة تشترك فيها كل مهابط الوحي كمكة المكرمة والمدينة المنورة.

سادساً وجود جبل الطور والوادي المقدس في هذه البلاد وهو جبل له شأن وبركة عند الله تعالى وقداسة.

ومن قداسته أن الله عز وجل أقسم به في جملة ما أقسم به في القرآن الكريم فقال تعالى: "وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ{ 1} وَطُورِ سِينِينَ{ 2} وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ{3}" سورة التين. وله مزية عظيمة ليست لغيره من الجبال بل وسائر بقاع الدنيا حيث كلم الله تعالى عنده نبيه موسى عليه السلام وناداه من جانبه الأيمن من الشجرة ووصفه تعالى بالقداسة والبركة فقال تعالى: "إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى" سورة طه الآية 12، وقال تعالى: "فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ" سورة القصص الآية 30.

ومن بركته وقداسته أنه وقعت عنده ثلاث مكالمات من الله عز وجل لنبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

أولاها عند مرجعه من مدين بعد قضاء عشر حجج عند شعيب وتزوجه ببنته وكان متجها لمصر فأصاب زوجته الطلق في ليلة مظلمة شاتية باردة وقد ضل الطريق فرآى ناراً تضيء من بعيد فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر أو جذوة من النار فأتاها فإذا هي نور عظيم في الشجرة فجاءه النداء الإلاهي يا موسى إني أنا الله رب العالمين...الخ.

فكان هذا أول نداء جاءه من قبل الله عز وجل يأمره فيه بتبليغ رسالته إلى فرعون وقومه الأقباط.

وقد ذكر الله عز وجل هذا المشهد العظيم لسيدنا موسى عليه السلام في ثلاث سور من القرآن الكريم: أولا في سورة طه حيث قال سبحانه وتعالى مخاطبا لنبيه سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم تشويقاً له: "وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى{ 9} إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى{10} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى{ 11} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى{12} وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى{ 13} إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي{14} إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى{ 15} فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى{16} وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى{ 17} قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى{ 18} قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى{19} فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى{ 20} قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى{21} وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً

أُخْرَى{22} لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى{23} اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى{24} قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي{ 25} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي{ 26} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي{27} يَفْقَهُوا قَوْلِي{ 28} وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي{ 29} هَارُونَ أَخِي{30} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي{31} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي{32} كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً{33} وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً{ 34} إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً{ 35} قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى{36} وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى{ 37} إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى{38} أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي{39} إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى{ 40} وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي{41} اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي{ 42} اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى{ 43} فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى{ 44} قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى{45} قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى{46} فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى{47}" سورة طه.

ثانيا في سورة النمل حيث قال جل ذكره: "إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ{ 7} فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ{8} يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ{ 9} وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ{10} إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ{11}

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ{12}" سورة النمل.

ثالثا في سورة القصص حيث قال تعالى: "فَلَمَّا قَضَى مُوسَىالْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ{29} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ{ 30} وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ{ 31} اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ{ 32} قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ{ 33} وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ{ 34} قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ{35}" سورة القصص.

هذه المكالمة الأولى وقعت له عند مرجعه من مدين ذكرها الله عز وجل مفرقة في هذه السور بأساليب مغايرة تفننا وهي مكالمة واحدة جاءت بصيغ وتعابير مختلفة على عادة القرآن الكريم في بيانه وفصاحته.

المكالمة الثانية عندما وعده الله عز وجل ثلاثين ليلة ثم أتمها بأربعين وذلك أن الله عز وجل كان وعده إنزال التوراة بعد الاستعداد بالصيام والتعبد فذهب إلى الطور وفي هذه المرة كان قد استخلف أخاه هارون على بني إسرائيل وعبدوا العجل بعده فكلمه الله تعالى مرة ثانية وأعطاه التوراة وهنا سأله الرؤية فقال رب أرني أنظر إليك فأجابه بقوله لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى –تظاهر

تعالى بشيء من نوره- للجبل جعله دكاً أي ساخ الجبل في الأرض فخر موسى صعقا مغشيا عليه إلى آخر ما ذكر الله تعالى وما وقع حيث قال: "وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ{143} قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ{144}" سورة الأعراف.

المكالمة الثالثة عندما عبد بنو إسرائيل في غيبته العجل وسقط في أيديهم وتابوا إلى الله عز وجل فأمره تعالى أن يختار منهم سبعين نفراً من خيارهم فاختارهم وذهب بهم إلى الطور ليعتذروا إلى الله عز وجل مما فعلوا فكلم الله تعالى نبيه موسى عليه السلام وهم يسمعون كلام الله فقالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فجاءت صاعقة من السماء فأبادتهم عن آخرهم وماتوا وجعل موسى يتضرع إلى الله تعالى ويبكي ثم لطف الله به وبهم فأحياهم. وفي هذا المشهد جاءت الآيات الكريمة: "وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ" سورة الأعراف الآية 155.

وقال جل ثناؤه: "وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ{ 55} ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ{56}" سورة البقرة.

فهذه المكالمات لنبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كانت بهذا الجبل المقدس المبارك وهو من ضواحي بيت المقدس.

سابعا من فضائل تلك البلاد حصول بها تلك المعجزة والآية الكبرى الغريبة الفريدة التي لا ثانية لها وهي المعجزة المتمثلة في السيدة مريم العذراء القانتة وولدها المسيح عليهما الصلاة والسلام حيث أن الله عز وجل فضل هذه السيدة وكرمها من بين سائر نساء الدنيا فجعلها أولا من سدنة بيت المقدس بين الأنبياء والصالحين، وأتت ثانيا بولد من غير أن يسمها بشر ولا قربها ذكر، وظهرت فيه هو الآخر معجزة ثانية هي كلامه في المهد بلسان طلق فصيح: "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً{30} وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً{31} وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً{ 32} وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً{33} ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ{34} مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ{ 35}" سورة مريم. فكان ما حصل لمريم وابنها أمرا فريدا لا يزال موضع إعجاب واستغراب.

قال الله تعالى: "يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ" سورة آل عمران الآية 42، واقرأ قصتها مع ابنها في القرآن الكريم اقرأ على سبيل المثال أوائل سورة آل عمران وسورة مريم التي سميت باسمها.

فهذا الحدث العظيم وقع ببيت المقدس وببيت لحم منه ولد عيسى عليه السلام وبالمسجد الأقصى كانت تعيش مريم عليها السلام.

فهذه خصيصة لهذا البلد امتاز بها عن غيره.

ثامنا وقوع معجزة وقوف الشمس ليوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام فإنه الذي غزى الجبارين ببيت المقدس فوقفت له الشمس حتى فتحها وهزم الجبارين.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "غزى نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بُضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن ولا أحد بنى بيتاً ولم يرفع سقوفها، ولا آخر اشترى غنماً أو خلِفَات وهو ينتظر ولادتها فغزى فدنا من القرية حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله تعالى عليهم فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال: إن فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله تعالى لنا الغنائم، ثم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا" وفي رواية: "فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا". رواه أحمد 388 والبخاري في الخمس من صحيحه 31/29/7 ومسلم في الجهاد 52/51/12 وغيرهم.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس". رواه أحمد 325/2 بسند صحيح على شرط البخاري.

قوله: "غزى نبي" الخ، هو يوشع كما في الرواية الثانية عليه السلام وهو من سلالة يعقوب عليه السلام وكان فتى لموسى كما نطق به القرآن الكريم: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ" سورة الكهف الآية 60. وجاء مصرحاً باسمه في الصحيحين في قصة الخضر عليه السلام وكان نبيا رسولا بعد موت موسى وهارون عليهم السلام وهو الذي فتح بيت المقدس وهزم الجبارين، فإنه لما توفي موسى وهارون عليهما السلام ومات عامة من كان

معهما في التيه ممن عوقبوا لامتناعهم من دخول بيت المقدس وقتال الجبارين وقولهم لموسى عليه السلام: "فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" سورة المائدة الآية 24، بعد ذلك أمر الله عز وجل يوشع عليه السلام أن يذهب بمن معه من شباب بني إسرائيل الذين ولدوا وتربوا في التيه إلى قتال الجبارين وفتح بيت المقدس وأخذها من أيدي أعداء الدين الجبارين فتأهب لذلك وقام في بني إسرائيل وحضهم على الجهاد والثبات وأن تكون قلوبهم فارغة من شئون الحياة بحيث لا يكون أحد منهم يريد الدخول بزوجته أو يكون قصده إكمال بيت قد شرع في بنائه أو يكون منتظراً إنتاج مواشي له لأن أمثال هؤلاء لا يقاتلون من صميم قلوبهم ولا يريدون الاستشهاد فخرج بهم فلما قربوا من القرية – بيت المقدس- عند وقت العصر وكان يوم جمعة، وقد حرم الله عليهم العمل من عشية يوم الجمعة إلى مساء يوم السبت ومن ذلك الجهاد، وكان يوشع عليه السلام خشي إن استمروا في القتال ربما غربت عليهم الشمس قبل الفتح فيضطرون لوقف القتال فينتصر عليهم أعداؤهم الجبارون فخاطب الشمس قائلا: أنت مأمورة بالسير وأنا مأمور بقتال الجبارين قبل غروبك فقفي حتى أمضي إلى ما أمرتُ به ثم سأل الله عز وجل أن يحبسها فوقفت حتى انتصروا وفتحوا المدينة وجمعوا الغنائم وكانت سنة الله تعالى فيها أن تنزل نار من السماء فتأكلها هكذا كان في شرعهم فلما جمعوها وانتظروا نزول النار لم تأت فعلم يوشع عليه السلام أن فيهم غلولا وسرقة من الغنيمة فجمع قبائل بني إسرائيل وأمرهم أن يبايعه من كل قبيلة رجلٌ فبايعوه فلزقت يده بيد رجل فقال لتبايعني قبيلتكم فلزقت يده بيد رجلين أو ثلاثة فاعترفوا بأنهم أخذوا مثل رأس ثور ذهباً فأتوا به فجاءت النار فأكلت الغنيمة.

وكان في هذه القصة عدة معجزات: إحداها حبس الشمس ووقوفها ليوشع عليه السلام وهي من أبهر المعجزات تشبه انشقاق القمر لنبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، والحديث الثاني صريح في أن ذلك من خصائص يوشع وأنها لم تقف لغيره غير أنه جاء من حديث جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار. رواه الطبراني في الأوسط وحسنه الحافظ في الفتح.

وعن أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم دعا لما نام على ركبة الإمام علي عليه السلام ففاته صلاة العصر فردت الشمس حتى صلى علي ثم غربت. رواه الطحاوي والطبراني وصححه غير واحد قال الحافظ: وهذا أبلغ في المعجزة وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده في الموضوعات وكذا ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض في زعم وضعه انتهى من الفتح 29/7.

ثانيها تأخير النار عن نزولها لأكل الغنيمة لما وقع من الغلول ثم نزولها بعدما رد ما غل.

ثالثها لزوق يد يوشع عليه السلام بأيدي أولئك الرجال الذين كان الغلول عندهم، فهيَ آيات وخوارق لا تعطى إلا لمن اجتباه الله عز وجل لرسالته وخصه بولايته.

تاسعاً إن هذه البلدة المقدسة حظيت باجتماع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالأنبياء فيها وصلاته بهم وربطه البراق بالصخرة وصلاته ركعتين بالمسجد، ففي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في حديث الإسراء قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "... وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال

شتوءة، وإذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم -يعني نفسه- فحانت الصلاة فأممتهم....". رواه مسلم في الإيمان 238/237/2.

فهذه مزايا حظي بها المسجد الأقصى وهي كالآتي: الإسراء برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من المسجد الحرام إليه ليلا بجسمه وروحه ونزوله بالمسجد الأقصى في رحلته وربطه البراق بالصخرة المقدسة وصلاته ركعتي تحية المسجد وصلاة الأنبياء الثلاثة به موسى، وعيسى وإبراهيم عليهم السلام ثم الخصيصة العظمى بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وبالمسجد الأقصى هي إمامته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالأنبياء وصلاته بهم صلاة الصبح لأنها التي حانت عليه في هذه الرحلة المباركة لما نزل من عروجه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

عاشراً هو قبلة الأنبياء جميعهم عليهم الصلاة والسلام منذ حله الخليل وقد قدمنا أن قلنا إن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم استقبله ستة أو سبعة عشر شهراً لما قدم إلى المدينة ثم حول إلى الكعبة قبلة أبيه الخليل عليهما الصلاة والسلام لكن الاستقبال لبيت المقدس رغم أنه كان قبلة جميع أنبياء بني إسرائيل فإنه لما جاء الإسلام نسخ ذلك بقوله تعالى: "فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ" سورة البقرة الآية 144.

حادي عشر بقرب المسجد الأقصى أقبر سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فقبره هنالك قطعاً ورد فيه النص دون غيره من الأنبياء.

فقد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في حديثه عن لطم موسى ملك الموت قال: فالآن من قريب أمتني من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "والله لو أني عنده

لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر". رواه مسلم في الفضائل 129/15 فقبره قريب من المسجد الأقصى وليس هو بالمشهور اليوم عند واد الأردن فإنه يبعد عن المسجد بأكثر من خمس وعشرين كيلو كما أن قبري زكريـــاء ويـــحيى بدمشـــق وحلب ليس ذلك بصحيح.

ثاني عشر تلك القصة الفاذة التي حصلت لسيدنا سليمان عليه السلام مع بلقيس وما تقدمها من كلام النملة مع زميلاتها ومحاورة الهدهد مع سليمان عليه السلام وما جاء به يضاف إلى ذلك تلك الآية العظيمة الإلاهية التي تتمثل في عرش بلقيس وشأن العفريت وصاحب الكتاب وفي ذلك يقول الله عز وجل: "وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ{17} حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ{18} فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ{19} وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ{ 20} لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ{21} فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ{22} إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ{23} وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ{ 24} أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ{25} اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ{ 26} قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ{ 27} اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ{28} قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ

كَرِيمٌ{29} إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ{ 30} أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ{31} قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ{ 32} قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ{ 33} قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ{34} وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ{ 35} فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ{ 36} ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ{37} قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ{38} قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ{ 39} قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ{40} قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ{41} فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ{ 42} وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ{43} قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ{44}" سورة النمل.

ففي هذه الآيات عجائب ربنا وعلوم زواخر وآيات وخوارق لا تصدر إلا من العليم القدير رب السماوات والأرض رب العالمين.

ففيها ثلاث قصص رئيسية: قصة النملة، وقصة الهدهد، وقصة الملكة بلقيس رضي الله تعالى عنها.

فهذه نملة تكلمت مع زميلاتها بكلام العقلاء وفهمها نبي الله سليمان عليه السلام. قال العلماء: اشتمل هذا النداء: "يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ" الخ على أحد عشر نوعاً من البلاغة والبيان: أولها النداء بيا، ثانيها لفظ أي، ثالثها التنبيه، رابعها التسمية بقولها: النمل، خماسها الأمر بقولها: ادخلوا، سادسها التنصيص بقولها: مساكنكم، سابعها التحذير بقولها: لا يحطنكم، ثامنها التخصيص بقولها: سليمان، تاسعها التعميم بقولها: وجنوده، عاشرها الإشارة بقولها: وهم، حادي عشر العذر بقولها: لايشعرون.

فهذا من أعجب عجائب خلق الله تعالى في كلام هذه النملة والنمل أمره معروف بشعوره وحذقه وأحواله وتصرفاته.

أما الهدهد هو الآخر أمره كهذه النملة في آيات الله تعالى فقد ترك الشام وسافر إلى الجنوب وقطع مسافة غير قريبة واطلع على خبر عظيم لم يكن لسليمان عليه السلام به علم مع اتساع مملكته ثم محاورته لسليمان وذهابه مرة ثانية برسالة إلى بلقيس وفهمه ما قالت ورده الجواب لسليمان عليه السلام، إن هذا لأمر عجيب من عجائب ربنا أما بلقيس فلقد أكرمها الله تعالى حيث أنقذها من عبادة غير الله وأسلمت لرب العالمين مع نبي الله سليمان وفي قصتها جاءت تلك الآية العظيمة والكرامة الإلاهية الصادرة من صاحب الكتاب الذي جاء بعرش بلقيس بكل ما فيه من اليمن إلى الشام إنها لآية عظيمة أجراها الله عز وجل على يد هذا الرجل الصالح الذي كانت روحانيته أقوى من روحانية العفريت والموضوع يحتاج إلى كلام أكثر من هذا فلنكتف بما ذكرنا ونقول: إن هذه القصص والآيات العظيمة وقعت ببيت المقدس ونواحيه.

ثالث عشر دعاؤه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالبركة مع أهل الشام كالمدينة واليمن وذكره فضائل بها بصفة عامة، فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهام أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا"، قالوا: وفي نجدنا فقال: "اللهم بارك لنا في شامنا وبارك لنا في يمننا"، قالوا: وفي نجدنا قال: "هنالك الزلازل والفتن ومنها يخرج قرن الشيطان". رواه البخاري في الفتن 156/16 وغيره.

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نؤلف القرآن في الرقاع فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "طوبى للشام"، فقلنا: لأي ذلك يا رسول الله؟ قال: "لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها". رواه أحمد 184/5 والترمذي والحاكم 229/2 كلاهما في المناقب وسنده صحيح وصححه الحاكم على شرطهما ووافقه الذهبي.

وعن عبد الله بن حوالة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "سيصير الأمر أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام وجند بالعراق"، فقلت: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك فقال: "عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده". الحديث رواه أبو داود في الجهاد في سكنى الشام 2483 بسند صحيح.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله: أين تأمرني؟ قال: "هنا" ونحا بيده نحو الشام. رواه أحمد 3/5 والترمذي في الفتن وحسنه وصححه.

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "ستخرج نار من حضر موت أو من بحر حضر موت قبل يوم القيامة تحشر الناس" قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ فقال:

"عليكم بالشام". رواه أحمد 119/53/3 والترمذي في الفتن وحسنه وصححه.

للشام فضائل خصت بالتآليف لكن ما ذكر فيها هنا قد كان في وقت سابق أو في وقت آخر سيأتي إن شاء الله أما الآن فالشام كلها كباقي البلاد الإسلامية تزخر بالفساد والمفسدين وسكانها كلهم متفرنجون إلا من رحم الله وحكام الجميع علمانيون ولذا جاء في حديث قرة بن إياس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: "إذا فسد الشام فلا خير فيكم". رواه أحمد 436/3 والترمذي في الفتن وابن حبان 1851 وسنده صحيح على شرط مسلم.

وها هي الشام اليوم فاسدة بأهاليها وسلطاتها.

رابع عشر نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليهما السلام بدمشق الشام بالمنارة البيضاء، وقد جاء في دمشق على الخصوص الحديث التالي:

فعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام". أخرجه أبو داود في الملاحم 3298 وسنده صحيح.

"الغوطة" اسم للبساتين والمياه التي عند دمشق و"الفسطاط" هو البلدة الجامعة للناس وهذه الملحمة الله أعلم متى ستكون هل تقدمت أم لا زالت لم تأت بعد.

وفي الحديث فضل مدينة دمشق وعندها سينزل المسيح ابن مريم عليهما السلام، ففي حديث النواس بن سمعان رضي الله تعالى عنه في خبر الدجال قال فيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم..."فبينما هو كذلك إذ

بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتَيْنِ، واضعاً كفيه على أجنحة ملَكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جَمَانٌ كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِه إلا مات، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه -يعني الدجال- حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله.." الحديث. رواه أحمد 182/181/4 ومسلم 70/63/18 وابن ماجه 4075 كلاهما في الفتن.

"مهرودتين" أي لابسا ثوبين مصبوغين، وقوله: "جمان" بضم الجيم وتخفيف الميم أي حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ يعني عرقه وقوله: "لد" بضم اللام والدال هي مدينة عند اليهود اليوم.

ففي هذا الحديث الشريف بيان فضل دمشق وأن لها شأناً عند الله رغم ما وقع فيها وما هو حاصل فيها الآن من انحراف أكثرية أهلها وكونها تحت حكم العلمانيين الملحدين فها هو رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يخبرنا عن دمشق بأنها محل ينزل فيه نبي الله عيسى ابن مريم عليهما السلام عند المنارة البيضاء وهذه خصيصة ليست لغير دمشق من سائر المدن وهذه المنارة موجودة ليومنا هذا وقد تحدث عن وجودها قديما النووي وابن كثير رحمهما الله تعالى وغيرهما وقد زرناها عام أربعة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة سنة أربع وستين وتسعمائة وألف م وصعدنا إلى أعلاها ودرجها نحو مائة فيما أتذكر فعندها سينزل عيسى عليه السلام ومن دمشق سيتوجه طالبا الدجال فيصادفه عند باب مدينة لد فيقتله فتنتهي بذلك فتنته.

المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود

خامس عشر بهذه البلاد المباركة ستكون الحرب الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود فيتقاتلون فينتصر المسلمون على اليهود حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله.

ففي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود". رواه البخاري في الجهاد وفي المناقب ومسلم في الفتن ويأتي بقية لهذا لاحقا إن شاء الله تعالى.

هذا ما أمكن لنا ذكره من فضائل ومزايا هذا البلاد الشام وما والاها فلنرجع إلى تاريخ بيت المقدس خاصة والشام عامة.

بيت المقدس عبر التاريخ

توفي الخليل وولده إسحاق عليهما السلام وخلفهما الرَّسول الكريم يعقوب عليه السلام وهو مع والده إسحاق من مواليد بيت المقدس فأنجب اثني عشر رجلا كان من بينهم يوسف الكريم عليه السلام وجاءت محنته الطويلة التي أصابت والده بنكبة أدت إلى فقدان عينيه ثم جاء الفرج فهاجر يعقوب وعائلته من بيت المقدس إلى مصر فبث الله عز وجل في مصر شعب بني إسرائيل ثم جاءت فتنة فرعون والأقباط لبني إسرائيل بذبح أبنائهم واستحياء بناتهم وولد موسى عليه السلام وشب ونبئ وأرسل إلى فرعون وملائه حتى كان ما كان من أمر فرعون من الغرقان في اليم ثم أمر الله عز وجل موسى بأن يدخل بيت المقدس هو وقومه فامتنعوا فتيههم الله عز وجل في التيه أربعين سنة ثم توفي موسى وأخوه هارون ثم خلفهما فتى موسى يوشع بن نون فقاتل دولة

الجبارين الذين كانوا يحكمون بيت المقدس فهزمهم ودخل بيت المقدس وكون دولة إسلامية يهودية وأصبح بيت المقدس تحت حكم اليهود فأقاموا دين الله ونصروه وأيدوه ودامت دولتهم قرونا وقرونا ثم عتوا وطغوا وتجبروا وبطروا نعمة الله تعالى عليهم وقتلوا أنبياءهم وعلماءهم فسلط الله تعالى عباداً له جاسوا خلال الديار وهم بختنصر وجنوده فسفكوا دماءهم وقتلوا أشرافهم وأولاد أنبيائهم وخربوا ديارهم وبيت المقدس هو الآخر معهم وسبوا نساءهم وأبناءهم وأخذوا أموالهم وشردوهم ومزقوهم وفرقوهم في البلاد وحرقوا التوراة وكان هذا الوعد الأول الذي كتبه الله تعالى عليهم في التوراة الذي أشار الله تعالى إليه في سورة الإسراء بقوله تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً{ 4} فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً{ 5}"، فلقد أخبر الله تعالى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين الخ وفي كل منهما تأتيهم التأديبات من الله تعالى فلما أفسدوا وغلوا سلط الله عليهم ما ذكرنا ثم لما تابوا ورجعوا إلى الله عز وجل بعد زمان أرجع إليهم الكرة فنصرهم على عدوهم وأنعم عليهم بكثرة الرجال والمال الكثير والأولاد والبنين وجعلوا أكثر الأمم نفيراً.

وكان ذلك بواسطة طالوت ونبي الله تعالى داود الذي قتل جالوت فأصبح بيت المقدس مطهراً من أرجاس وقذر المشركين والمجوس ورجعت لليهود دولتهم واجتمع لنبي الله داود عليه السلام ثم لابنه سليمان عليه السلام النبوة والملك ثم بعدهما كانت النبوة في بيت لهم والملكية في بيت وداموا على ذلك واستقاموا عليه أجيالا وأجيالا لا يعلمها إلا الله عز وجل ثم عادوا الكرة للإفساد والطغيان وكذبوا سيدنا عيسى ابن مريم عليهما السلام وأرادوا قتله فرفعه الله فسلط الله تعالى عليهم الروم

فقتلوهم للمرة الثانية وشردوهم وقطعوهم وأجلوهم عن بيت المقدس وأهانوا الصخرة التي كانت قبلة لليهود فجعلوها مزبلة يلقى ويطرح عليها الأزبال والأقذار انتقاماً من اليهود وكانت هذه المحنة لليهود ثانية وعد الله تعالى التي قال فيها: "فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ" سورة الإسراء الآية 7.

وهكذا بقى بيت المقدس تحت الاحتلال الروماني حتى جاء الإسلام واليهود مضطهدون لا دولة لهم ولا رياسة بل أذلاء مشردون هنا وهناك وأصبح بيت المقدس سكناً للنصارى أتباع عيسى عليه السلام فلما فتح بيت المقدس زمن سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه على يد عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه جاء سيدنا عمر فصالح النصارى سكان بيت المقدس وكتب لهم كتاباً وأمر بإخراج الروم منه.

وبقى بيت المقدس تحت حكم المسلمين يتداولونه بينهم فكان بعد الخلفاء الأربعة رضي الله تعالى عنهم تحت حكم الأمويين ثم جاء العباسيون وهو تحت نفوذهم ثم جاءت حرب التتار والحروب الصليبية فأخذه النصارى وبقى مستعمراً تحت أيديهم نحواً من تسعين سنة حتى أخذه منهم بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى وبقى كذلك حتى جاء الأتراك فكان تحت حكمهم إلى أن جاءت الثورة العربية فاضمحلت دولة الأتراك من الأراضي العربية فخلفهم الاستعمار الغربي فكان بيت المقدس من نصيب الإنجليز ثم كان نهايته أن احتله اليهود بعد أن كونوا دولتهم بمساعدة أمريكا، وإنجلترا، وفرنسا، وبعض كبار زعماء العرب الخونة، وجعلوا مقرهم بفلسطين فأصبحت لليهود دولة داخل البلاد المقدسة وطردوا المسلمين من ديارهم وجردوهم من أملاكهم فقامت الحرب بينهم وبين العرب سكان فلسطين ومن وقت

احتلالهم لهذه البلاد وكان ذلك سنة 1368هـ 1948م والفتن وسفك الدماء والمجازر قائمة لا سيما والمسلمون ليست لهم قوة ولا إمكانية يقاومون بها هذا العدو الجديد واليهود عليهم لعائن الله المتتالية معروفة طبائعهم بالقسوة والشدة وسفك دماء أنبيائهم وعلمائهم مع مخالفة أوامر الله تعالى وأوامر رسلهم عليهم الصلاة والسلام فاليهود هم الذين قالوا لرسولهم العظيم كليم الله موسى عليه السلام لما أمرهم بقتال الجبارين فجبنوا: "فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" سورة المائدة الآية 24، وهم الذين قالوا له لما سمعوا كلام الله تعالى: "لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً" سورة البقرة الآية 55، وهم الذين عبدوا العجل بعد ذهابه لميقات ربه وهم الذين قالوا لنبيهم: "اجْعَل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" سورة الأعراف الآية 138، وهم الذين رموه عليه السلام بالأدرة حتى برأه الله تعالى قال تعالى محذراً هذه الأمة مما فعلوا: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً" سورة الأحزاب الآية 69، وهم الذين قتلوا أنبياءهم وعلماءهم كما قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" سورة آل عمران الآية 21، وهم وأجدادهم الأسباط أولاد يعقوب عليه السلام هم الذين رموا يوسف في الجب وأرادوا قتله وغيبوه عن والده يعقوب عليه السلام عقوداً من الزمان، وهم الذين قال الله تعالى لهم عند فتح بيت المقدس شكراً لله: قولوا حطة وادخلوا الباب سجداً فغيروا وقالوا حبة في شعيرة ودخلوا يزحفون على أستاههم وهم الذين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ولن يعذبنا الله إلا أياماً معدودات وهو الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، وقالوا يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا الآية، وهم الذين نهاهم الله عن اصطياد السمك يوم السبت فاحتالوا

لذلك واصطادوا وخالفوا أمر الله فمسخهم قردة وخنازير، وهم القوم المغضوب عليهم المذكورون في فاتحة الكتاب، وهم الذين فرقوا في الإيمان بين الله ورسله فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فقال الله تعالى فيهم: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً{ 150} أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً{ 151}" سورة النساء، وهم الذين كانوا يعرفون نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من كتبهم كما يعرفون أبناءهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين.

وهم الذين أخبر الله عز وجل عنهم أنه قضى في الذكر الحكيم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين وفي كليهما سيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب كما قال تعالى: "وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً{ 4} فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً{ 5} ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً{ 6} إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً{ 7} عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً{ 8}" سورة الإسراء، فأخبر عز وجل بأنه قدر وكتب في الذكر الحكيم على هؤلاء اليهود أنهم سيفسدون في أرض الشام وبيت المقدس مرتين وأنهم سيعلوُنَّ ويظلمون ويستكبرون فإذا جاءهم ما وعد الله تعالى به من تأديبهم والانتقام منهم لمخالفتهم أحكام التوراة وركوبهم المحارم والآثام بعث تعالى عليهم عباداً له أشداء ذوي بأس شديد وهؤلاء العباد يقال إنهم بختنصر وجنوده الذين سفكوا دماءهم

وقتلوا علماءهم وأبناء أنبيائهم وأحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وسبوا منهم سبعين ألف نسمة وكان وعد الله تعالى هذا وعداً لا بد أن يقع ثم بعد ذلك رد لهم الدولة والغلبة وانتصروا بعدما تابوا ورجعوا إلى الله تعالى ورد لهم النبوة والملك بواسطة دواد وطالوت وأمدهم بالأموال والبنين وجعلهم سبحانه أكثر جموعاً وجيشاً... فلمَّا جاء ما وعد الله تعالى به من عذابهم والانتقام منهم لرجوعهم للإفساد وارتكاب الجرائم والفواحش وتكذيب سيدنا عيسى عليه السلام وإرادة قتله بعث أقواماً آخرين ليسوءوا وجوههم وليدخلوا بيت المقدس كما حصل أولا ويهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه وهؤلاء هم الروم سلطهم الله تعالى عليهم وحاصروهم وافتتحوا بيت المقدس وأفحشوا في القتل والأسر والتحريق والتخريب وأجلوا اليهود عن بيت المقدس وقطعوهم تقطيعاً وعسى الله تعالى أن يرحمهم قال تعالى لهم: "وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً" سورة الإسراء الآية 87، يعني مرة ثالثة لعقوبتكم فعادوا بتكذيب سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعد الثانية فسلطه عليهم فقتل قريظة وكانوا أربعمائة مقاتل في ضحوة واحدة وأجلى بني النضير وبني قينقاع وأوصى بإخراج الباقي فأخرجهم سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه أيام خلافته من خيبر وغيرها ثم عادوا للإفساد في العالم فسلط الله تعالى عليهم هتلير الألماني فحرقهم وأفحش في الإكثار من قتلهم ثم الآن أعادوا ليفسدوا المرة الخامسة وهذه خاتمة إفسادهم فهؤلاء هم اليهود الذين يحتلون اليوم بيت المقدس وما والاه فقد قاسوا في تاريخهم الطويل أنواعاً من العذاب وسلط الله تعالى عليهم أمماً كالجبارين والكلدانيين واليونانيين، والفرس والروم وفرعون وقومه وأذاقوهم سوء العذاب وها هم الآن يصولون ويجولون رد الله تعالى لهم الغلبة وأمدهم من القوة ما لا يوجد مثله عند العرب والمسلمين

وسلطهم عليهم فسفكوا دماءهم وخربوا ديارهم وأخذوا أملاكهم وشردوهم شذر مذر وتحدوا العرب والمسلمين وغيرهم في أنحاء المعمورة فلم يستطع أحد إقصاءهم عن فلسطين بل ولا استطاعوا أن يعطوا للفلسطنيين حقوقهم أو يكونوا دولة ذاتية مستقلة لهم، فهل من المسلمين من معتبر؟؟؟؟.

سؤال وجواب

كثير من الناس تساءلوا ولا يزالون يتساءلون كيف انتصر اليهود على المسلمين خير أمة أخرجت للناس؟ وكيف أخذوا منهم بيت المقدس أحد المساجد الثلاثة الفاضلة وعددهم لا يبلغ أربعة ملايين والمسلمون يعدون بمليار وأكثر من ثلاثمائة مليون نفر؟ والغريب في الأمر هو أن هؤلاء اليهود ودولتهم جاءوا وسط بلاد العرب ويحيط بهم أكثر من عشر دول تنتمي للإسلام...

والجواب على ما ذكر هو الآتي:

أولا سنة الله تعالى في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو أن كل أمة أفسدت وطغت وأسرفت في الذنوب والآثام سلط الله تعالى عليها من يؤدبها ويعاقبها على ما كسبت يداها وهذه سنة لا تتخلف أبداً والقرآن الكريم مليء بالكلام على هذا الموضوع وأنه تعالى يجازي كلا بما كسبت يداه كما قال تعالى: "وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ" سورة الشورى الآية 30، وقال جل علاه: "وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ" سورة الروم الآية 36، وقال جل ثناؤه: "فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ" سورة المائدة الآية 49، وقال عز من قائل: "فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ" سورة آل عمران الآية 11، وقال جل شأنه: "فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ

أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا" سورة العنكبوت الآية 40، وقال جل جلاله: "وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا" سورة الكهف الآية 59، وقال سبحانه: "فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ" سورة الزخرف الآية 55، أي أغضبوني بكثرة الذنوب، وقال عز وجل: "إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ" سورة الرعد الآية 11، وقال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ" سورة هود الآية 102، وقال تعالى: "وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ" سورة القصص الآية 59، في آيات كثيرة...

فالمعاصي والذنوب مشئومة، وعواقبها وأصحابها وخيمة.

فتسليط اليهود على المسلمين ومحاربتهم وإذلالهم.. هو من جراء ذنوبهم وإسرافهم في مخالفة أوامر الله ونواهيه والخروج عن نهج وطريق نبيهم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فبعث إليهم اليهود أخزى قوم وأذلهم ليؤدبوهم لعلهم يعتبرون فيراجعون دينهم لكنهم لحد الساعة لم يرعووا عماهم فيه ولم يستقيموا كما أمرهم الله تعالى، قال تعالى: "وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ" سورة المؤمون الآية 76، هكذا وقع للسابقين كما وقع لنا اللاحقين.

فكل ما نشاهده من التدمير والحروب وسفك الدماء والفتن المتوالية كل ذلك من جراء ما عليه الناس من الفسوق والفجور بل والكفر البواح ممن يدعون الإسلام قال تعالى: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً{ 16} وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً{ 17}" سورة الإسراء، فما أصبنا به ونحن خير أمة كذلك أصيب به بنو إسرائيل حينما

أسرفوا في الإفساد وخرجوا عن هدى التوراة ولم ينفعهم وجود الأنبياء والصالحين بينهم ولا كونهم في عصورهم أنهم أفضل العالمين.

فهكذا هذه الأمة لا ينفعها مع ما هي متصفة به من الخروج عن طريق نبيها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كونها خير أمة أخرجت للناس ولا وجود الصالحين والربانيين بينها قيل يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث"، رواه البخاري ومسلم والخبث بفتحتين الفجور وقيل الزنا وأولاد الزنا.

والمجتمعات الإسلامية والمنتمون للإسلام اليوم عندهم من المناكير الظاهرة والمنتشرة بجميع أنواعها وأشكالها ما لم يتقدم له مثيل فماذا ينتظرون من الله مع ذلك فالصحابة رضي الله تعالى عنهم خالفوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أمر واحد عاقبهم الله عليه بانهزامهم وقتل سبعين منهم ولم يبق الأمر مقصوراً عليهم بل أصاب شؤم تلك المخالفة حتى الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم... ولما نزل بهم ما نزل قالوا: "أَنَّى هَـذَا" أي من أين جاءنا هذا ومعنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والوحي ينزل عليه فأجابهم الله تعالى بقوله: "قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ" سورة آل عمران الآية 165، أي أنتم تسببتم فيه بمخالفة الرماة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

فهذه معصية واحدة انظروا ماذا كانت عاقبتها، ولم يكن عند الصحابة قوانين وَضْعِيَّةٌ وضعتها الأيدي الآثمة الملحدة تطبق على المسلمين مخالفة لشرع الله تعالى وأحكامه، ولم يكن عندهم بنوك ربوية تتعامل بها الدول وشعوبها رسميا محاربة لله تعالى، ولم يكن عندهم فنادق وبيوت فاخرة مفروشة معدة للزواني والزناة، ولم يكن عندهم أندية ودور للرقص الخليع والأغاني القذرة الفاحشة، ولا عندهم دور يجتمع فيه الفتيان

والفتيات عراة وعرايا، ولم يكن لهم مسابيح ولا شواطئ يستحم فيها الرجال والنساء مختلطين كالحيوان، ولم يكن عندهم خمور تباع وتشرب جهاراً وتعطى الرخص لبيعها، ولم يكن عندهم وزارات السياحة والفنون الجميلة والكل يعلم ما ينتج عن هذه الوزارات من الفساد والأمراض الاجتماعية، ولم يكن عندهم إعداديات وثانويات وجامعات مختلطة اختلاطاً فاحشاً يتربى ويتخرج منها اللأخلاقيون والملاحدة ويقع فيها ما يندي له الجبين من فساد الأخلاق وممارسة الفجور... كما أنهم لم يكن عندهم رشاوى ومحامون وقضاة يضيع معهم حقوق الناس، ولم يكن لديهم ضرائب فاحشة مفروضة على المسلمين كأنهم ذميون، ولم يكن في مجتمعهم نساء وفتيات عاريات كاشفات عوراتهن في الشارع وفي الدوائر والمحاكم والمتاجر والمدارس، ولم يكن عندهم هذا الجهاز التلفاز الذي يعرض فيه ما تستحيي العين النظر إليه..... والجريدة طويلة فكيف يكون الحال إذا في أمة ودول فيها كل هذه المخازي وأضعفاه وأضعاف أضعافه مما لا نراه ولا نسمع عنه فهل ننتظر مع هذه الخبائث من الله نصرنا على اليهود، لا والله إذاً نكون كذبنا قول ربنا: "إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ" سورة سيدنا محمد الآية 7، وقوله تعالى: "وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ" سورة الحج الآية 40، وقوله جل وعلا: "وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" سورة الروم الآية 47.

كنت زرت القدس الشريف للمرة الأخيرة سنة ست وستين وتسعمائة وألف عام ستة وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية وقد مر على احتلال اليهود الضفة الغربية نحو من ثمان عشرة سنة فرأيت بجانب الحرم أثر الخمر والفجور ولما ركبت من الأردن في سيارة عبر الصحراء فيها طبقتان متجهين إلى بغداد وكانت مليئة بالفلسطنيين والأردنيين المتمسلمين فقطعنا الصحراء بين الأردن وبغداد وهي نحو ألف كيلو فكنت لا أرى

أحداً من أولئك الركاب يصلي إلا رجلاً واحداً شيعياً فكنا إذا وقفت السيارة في محطة هرع جميعهم إلى المطاعم أو المراحيض وما رأيت أحدهم يسأل عن الماء أو عن موضع للصلاة... إلا ذلك الشيعي.

وهؤلاء كلهم فلسطينيون وأردنيون ومعهم قليل من أهل بغداد وهم في حالة استعمار وحرب مع اليهود فهل ينصر الله تعالى أمثال هؤلاء وهل يحق لهم أن يتأسفوا على ما حل بهم من الاحتلال الصهيوني بل هم مستحقون لما هو أكثر من ذلك، ومن الغريب أني زرت القدس الشريف في عام 1966 م وفي العام المقبل تم لليهود احتلال الضفة الشرقية بما فيها بيت المقدس وقنبلوا المطار العسكري المصري واحتلوا صحراء سيناء وأخذوا من سوريا الجولان وأخذوا مع بيت المقدس كثيراً من أراضي الأردن وهزموا العرب الذين تعاونوا مع الأردن والفلسطينيين شر هزيمة ولله في خلقه شئون لا يسأل عما يفعل فله الحكمة البالغة، هذه الأولى.

ثانياً التفرقة وعدم توحيد صف العرب فهم أعداء بعضهم لبعض لا سيما الجيران فهم دائما في صراعات بينهم وقد يؤدي أحياناً للحروب والفتن وفيهم من يوالي اليهود ويؤيدهم ولو بالسكوت والانحياز وفيهم من يعمل معهم شرطا وجنوداً وجواسيس على إخوانهم المسلمين وأكثر ما يقع من عمليات اليهود ضد الفلسطينيين وما يقتل من القياديين والزعماء فبواسطة جواسيس العرب المتمسلمين والفلسطينيون المستعمرون أنفسهم مختلفون وكم من مرة تقاتلوا ولا يتفقون على شيء بينما اليهود بخلاف هذا فهم دولة واحدة ورئيس واحد وليس فيهم من يوالي المسلمين أو يعمل معهم.

ثالثاً ضعف العرب والمسلمين ولا سيما الفلسطينيين فليست لهم قوة وعدة يستطيعون بها مقاومة العدو لأنهم يحاربون أقوى قوة في العالم

فدولة اليهود مدعمة من طرف الدول الكبرى الغربية وترأسهم أمريكا العدوة اللدودة للعالم الإسلامي فلليهود من الأسلحة المتطورة المدمرة بجميع أنواعها ما لا يملكه غيرهم ممن يحاربهم ولذلك انهزم أمامهم جميع الدول العربية والمنتمية للإسلام التي تطالب باستقلال فلسطين أو خروج اليهود من القدس ولم يستطيعوا تحريك شعرة منهم عن مستعمراتهم فكيف ينتصر العرب والدول الحاكمة لشعوب المسلمين وقد فقدوا أسباب النصر وهما القوة المادية وكذا القوة الروحية فلو كانوا على نهج الإسلام والاستقامة والإخلاص لانتصروا منذ زمان، قال الله تعالى: "إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ" سورة سيدنا محمد الآية 7، وهم لم ينصروا الله يعني دينه وقال تعالى: "وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ" سورة الحج الآية 40، فهذا قسم من المولى الكريم أنه ينصر من ينصره وقال تعالى: "وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ" سورة الروم الآية 47، وظاهر هذه الآية يقتضي أن هؤلاء الذين يحاربون اليهود ليسوا بمؤمنين وإلا لنصرهم الله ولو مع ضعف قوتهم المادية، وهناك أسباب أخر لا نعلمها.

فانتصار المسلمين والعرب الحاليين على اليهود وإجلاؤهم من البلاد المقدسة من قبيل المستحيل عادة وعقلا وشرعاً.

فاليهود لا يخرجون من فلسطين بعد أن استعمروها ولا يزال الحال على ما هو عليه الآن حتى يأتي أمر الله وذلك بعد أن يأتي إمامهم الدجال الأعور الكذاب ويطوفون معه الدنيا ويحكمون العالم وينزل المسيح ابن مريم عليهما السلام فعندئذ تأتي المجزرة الكبرى لهم فيقاتلهم المسلمون الجدد الناصرون عيسى فينتصرون عليهم حتى إن الحجر والشجر ليقولان تعال يا مسلم فهذا يهودي ورائي فاقتله فحينئذ سيبيدهم الله تعالى ويستأصلهم ويقتل عيسى عليه السلام الدجال ويقضي الله تعالى بيننا

وبينهم أما مسلموا اليوم فهم أسقط وأبعد من أن ينتصروا على عدو مثل إسرائيل في قوتها ويكلمهم الحجر والشجر بالدلالة على اليهود لأن هذه كرامة والكرامة لا تصدر من الظلمة والعلمانيين الحاكمين اليوم الشعوب الإسلامية والتي تسعى في إخراج اليهود من بيت المقدس وتدافع عن حقوق الفلسطينيين فإن هؤلاء وأمثالهم لا تظهر شجاعتهم وبسالتهم إلا في مقاتلة بعضهم بعضاً، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد كانت لنا عبرة في حرب أفغانستان فإنهم حاربوا أقوى دولة كانت وقتهم وانتصروا عليها وظهرت في مشاهدهم ومواقفهم وغزواتهم كرامات لأنهم كانت لديهم أسباب النصر فكانوا أولا متحدين سنة وشيعة وصوفية وسلفية وجميع الطوائف مع اتفاق القياديين، وكانوا يقيمون شعائر الدين ويقاتلون لإعلاء كلمة الله تعالى ولذلك كان انضم إليهم جموع من شباب العالم الإسلامي بقصد الجهاد في سبيل الله وكانت لهم قوة تدعمهم بها وقتئذاك أمريكا لما كانت تراه من مصالحها فانتصروا لذلك انتصاراً غريباً وكونوا دولة إسلامية دامت خمس سنوات لكن الله عز وجل حكيم خبير لما رآهم اختلفوا وتنافسوا على الدنيا ورياستها وتقاتلوا على ذلك ثم تصالحوا عند الكعبة وتعاهدوا ثم خانوا سلط الله تعالى عليهم أمريكا صديقتهم بالأمس فشتت شملهم وفرقت جمعهم وأصبحوا كأن لم يغنوا بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون.

والله الموفق الهادي "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" سورة آل عمران الآية 26.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وزوجه وحزبه.

وكان الفراغ منه زوال يوم الخميس 24 من ربيع الثاني عام 1434 ه بطنجة المغرب.

وكتـب أبو الفتوح عبد الله التليدي ختم الله تعالى له بالشهادة والسعادة آمين.

ملحق

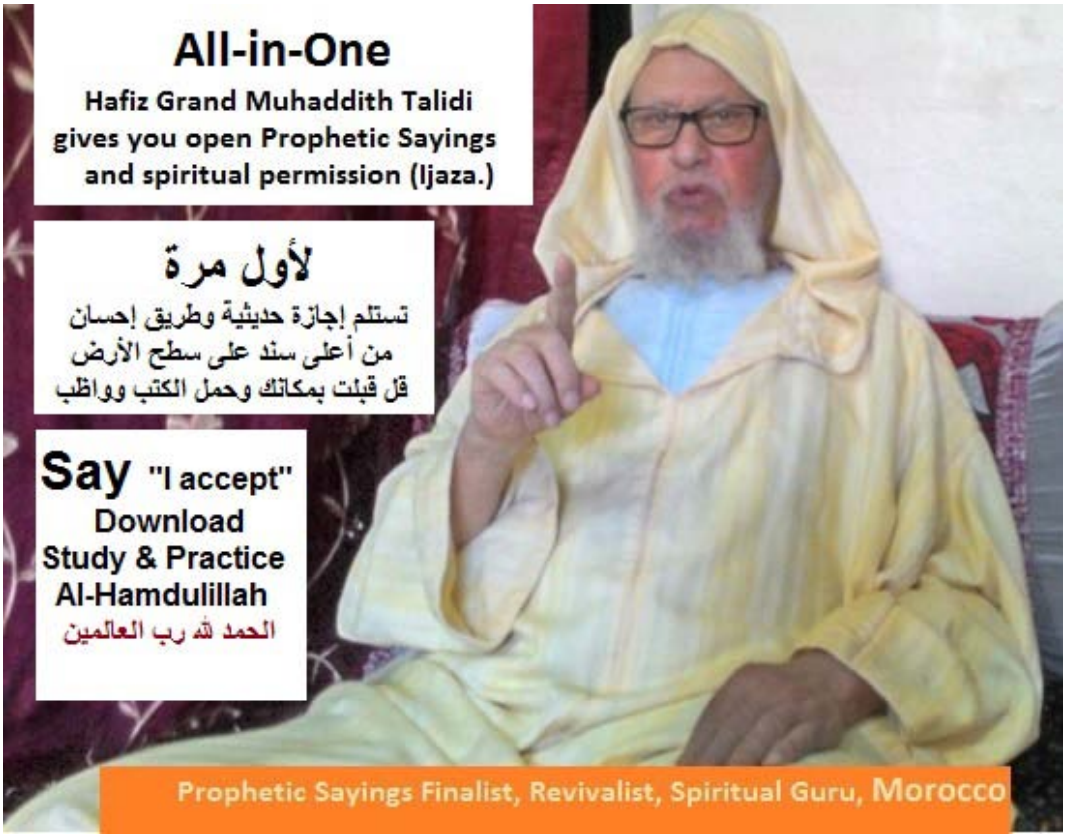
All-in-One
Hafiz Grand Muhaddith Talidi
gives you open Prophetic Sayings
and spiritual permission (Ijaza.)
لأول مرة
تستلم إجازة حديثية وطريق إحسان
من أعلى سند على سطح الأرض
قل قبلت بمكانك وحمل الكتب وواظب
Say "I accept"
Download
Study & Practice
Al-Hamdulillah
الحمد لله رب العالمين
Prophetic Sayings Finalist, Revivalist, Spiritual Guru, Morocco

لأول مرة تستلم إجازة واحدة في الحديث والقرآن والسيرة ومعظم علوم الشريعة مع عشرات الأصول الإكترونية مع علم الإحسان بالطريقة الشاذلية الصديقية الدرقاوية والقادرية من حافظ المغرب والزمان مجدد الحديث في السيرة والتفسير والخصائص النبوية وعموم أبواب العلم مولاي السيد الشريف الحبيب عبد الله التليدي المعمر 82 عاما حفظه الله تعالى عن مولاي أحمد بن الصديق عن مولاي محمد بن الصديق الغماري الحسني إن شاء الله تعالى نتيح كتابته وصوته وصورته والأوراد بداية من رسول الله عليه الصلاة والسلام

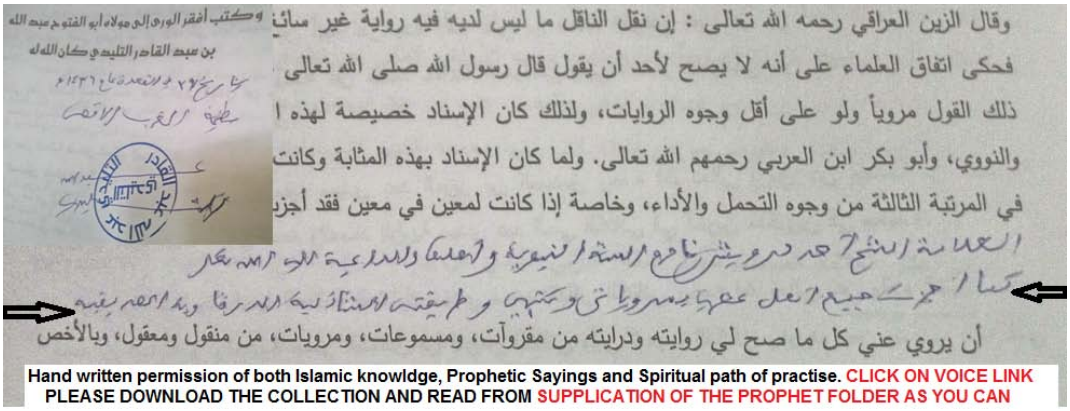
وقال الزين العراقي رحمه الله تعالى : إن نقل الناقل ما ليس لديه فيه رواية غير سائ
فحكى اتفاق العلماء على أنه لا يصح لأحد أن يقول قال رسول الله صلى الله تعالى
ذلك القول مروياً ولو على أقل وجوه الروايات، ولذلك كان الإسناد خصيصة لهذه ا
والنووي، وأبو بكر ابن العربي رحمهم الله تعالى. ولما كان الإسناد بهذه المثابة وكانت
في المرتبة الثالثة من وجوه التحمل والأداء، وخاصة إذا كانت لمعين في معين فقد أجز
أن يروي عني كل ما صح لي روايته ودرايته من مقروآت، ومسموعات، ومرويات، من منقول ومعقول، وبالأخص
Hand written permission of both Islamic knowldge, Prophetic Sayings and Spiritual path of practise. CLICK ON VOICE LINK
PLEASE DOWNLOAD THE COLLECTION AND READ FROM SUPPLICATION OF THE PROPHET FOLDER AS YOU CAN

[سيدة وعذراء الإجازات العلمية والروحية الممتازة معا مع دليل روحي سياحي لزيارة الأولياء]

فهرست الموضوعات

3 المقدمة
7 البلاد المقدسة
8 سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
8 إبراهيم عليه السلام أكرم الناس
9 نسبه عليه السلام
10 من صفات خليل الرحمن عليه السلام
11 سيدنا إبراهيم عليه السلام هو أول من اختتن
12 إبراهيم خير البرية عليه السلام
13 بداية قصة الخليل عليه السلام
19 تحطيم الخليل الأصنام وإلقاؤه في النار
21 كل دواب الأرض كن من الخليل وفي صفه إلا الوزغ
23 هجرة الخليل عليه السلام من العراق إلى فلسطين
25 دخول إبراهيم مصر وقصته مع ذلك الطاغية وشأن سارة وهاجر
27 رجوع الخليل من مصر إلى فلسطين وولادة إسماعيل عليه السلام
28 مهاجرة إبراهيم بهاجر وابنها إلى مكة
32 بسط قصة تأسيس بيت الله الحرام وأنه أول بيت وضع للناس
34 ثناء الله عز وجل على الخليل والإشادة به
36 نبذة قصيرة في التعريف بإسماعيل عليه السلام
40 وفاة إبراهيم وهاجر وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام
42 إسحاق وولده يعقوب
45 وفاة إسحاق عليه السلام
46 من فوائد وعبر قصة الخليل وتوابعه جملة وتفصيلا
52 فضائل الأراضي المقدسة
52 المزايا المشتركة بين هذه البلاد المقدسة
58 فضائلها انفرادا -مكة المكرمة-

71 المدينة المنورة
72 دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع المدينة....
74 حفظ المدينة وحراستها
75 وعيد من أراد أهل المدينة بسوء أو أحدث فيها أو آوى محدثا
77 المدينة حرم آمن
79 المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون
81 الصبر على شدتها يوجب شفاعة النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
82 الإيمان يجتمع إلى المدينة
84 الروضة الشريفة
84 جبل يحبنا ونحبه
87 قباء
88 العقيق والمعرس المبارك
90 قبره الشريف
93 فضل الشام وبيت المقدس
115 المعركة الفاصلة بين المسلمين وبين اليهود
115 بيت المقدس عبر التاريخ
122 سؤال وجواب
131 فهرست الموضوعات